

٥
المكتشفون العظام
أفلاطون
بقلم
سيد تقي سيد حسين الموسوي
حفظه اللّه تعالى

# المكتشفون العظام

# أفلاطون

بقلم

سيّد تقي سيّد حسين الموسوي

حفظه اللّه تعالى

www.taqimusawi.com

0096899419461

صندوق البريد ٩٢٠

الرمز البريدي ١١٤

سلطنة عُمان

بسم الله الرحمن الرحيم

# العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب «المكتشفون العظام»، وكتبي المتعاقبة من «أسرار النفس البشرية». وأيضًا كتبي السابقة «القوى الكونية» و «هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام» و «ورفعناه مكانًا عليًّا» و«بوذا ونور الملكوت» و«هكذا تكلّم الله على لسان داود» و «هكذا ناجى داود ربه» و «كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي» و «كتاب المباني الأساسيّة للطريقة الأويسيّة» الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنّه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربيّة المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كلّ قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

# المقدمة

لقد أسّس أفلاطون الفلسفة المثالية، وعرّف الفلسفة بأنها السعي الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة، التي تستخدم العقل وسيلة لها، وتجعل الوصول إلى الحقيقة أسمى غاياتها.

في كتابه فيدروس، يشرح أفلاطون عمليّة سقوط النفس البشرية، التي هَوَتْ إلى عالم المحسوسات – بعد أن عاشت في العالم العلويّ - من خلال اتّحادها مع الجسم. لكن هذه النفس، وعن طريق تلمُّسها لذلك المحسوس، تصبح قادرة على دخول أعماق ذاتها لتكتشف، كالذاكرة المنسيّة، الماهيّة الجليّة التي سبق أن تأمّلتها في حياتها الماضية: وهذه هي نظرية التذكُّر، التي يعبِّر عنها بشكل رئيسيّ في كتابه مينون، من خلال استجواب العبد الشاب، وملاحظات سقراط، الذي "توصّل" لأن يجد في نفس ذلك العبد مبدأً هندسيًّا لم يتعلّمه هذا الأخير في حياته.

هنا تصبح الرياضيات، ذلك العلم الفيثاغوري المتعلّق بالأعداد والأشكال، مجرّد دراسة تمهيدية. لأنه عندما نتعلّم هذه الرياضيات "من أجل المعرفة، وليس من أجل العمليّات التجارية"، يصبح بوسعنا عن طريقها "تفتيح النفس للتأمّل وللحقيقة". لأن الدرجة العليا من المعرفة، التي تأتي نتيجة التصعيد الديالكتيكي، هي تلك المعرفة الكشفيّة التي نتعرّف عن طريقها إلى الأشياء الجليّة.

لذلك فإنه يجب على الإنسان - الذي ينتمي إلى عالمين – أن يتحرّر من الجسم (المادة) ليعيش وفق متطلّبات الروح ذات الطبيعة الخالدة، كما توحي بذلك نظرية التذكُّر، وتحاول البرهنة عليه حجج فيدون.

إن الفضيلة التي تقود إلى السعادة الحقيقية، تتحقق بشكل أساسيّ عن هذا التناغم النفسيّ الناجم عن خضوع الحساسيّة للقلب الخاضع لحكمة العقل. وبالتالي، فإن هدف الدولة يصبح، على الصعيد العام، حكم المدينة المبنيّة بحيث يتّجه جميع مواطنيها نحو الفضيلة.

- وإلى جانب النزعة المنطقية الرياضية متأثرًا بفيثاغورس الذي تميّز بها أفلاطون الفكريّ، نجد فيه اتجاهًا إلى التصوّف وإلى ممارسة الحياة الروحية متأثّرًا بسقراط، في أعلى مراتبها.
- ومن الناحية الثانية نجد أنه قد أضاف إلى هذا المذهب المنطقيّ الرياضيّ اتجاهًا صوفيًّا عميقاً تلقّاه من تعاليم الأورفيّه والفيثاغوريّة، والتي تستمدّ جذورها من نبيّ الله إدريس عليه السلام في الماضي السحيق، فيما قبل طوفان نوح.

ويبدو أن تعاليم الأورفيه والفيثاغورية لم تكن المصدر الوحيد لهذه النزعة عند أفلاطون، بل ترجع إلى طفولة أفلاطون، التي امتازت بالتديّن والإيمان بالأسرار العميقة التي ترمز إلى الوحي السماويّ، ولهذا فإنه اتّجه إلى البحث عن المثل العليا، أي عن عالم أسمى فيما وراء عالم الحسّ، عالم تطمح إليه النفس في ذروة صفائها وطهارتها، فكان أن كشفت له التجربة الروحيّة عن آفاق عالم المثل العليا.

- وقد أحسّ أفلاطون بصعوبة التفسير اللفظي عن هذا الوجود السامي المتعالي، الذي يجاوز نطاق التجربة الحسّيّة، ولهذا فقد لجأ إلى الأسطورة، وإلى الصور الخياليّة، لكي يفسّر بها حقيقة هذا العالم العقليّ وأبعاده المثاليّة.
- وكان أفلاطون يشعر في أعماق نفسه بأن العبارات الشاعريّة، التي كان يسوقها لإيضاح حقيقة عالم المثل العليا، لن تحقّق هذا الغرض على الوجه الأكمل. فقد كان يشعر بصعوبة التعبير عن مضمون مذهبه، لخصوبة الفكرة التي انتهت إليها تجربته

الروحيّة، ولأن اللغة التي قد وضعت للإشارة إلى الموجودات الحسّيّة لايمكن أن تصبح أداة للتعبير عن عالم مثالي مغاير لعالمنا الحسّيّ في وجوده وطبيعته.

- ونقطة البداية في نظرية المعرفة الأفلاطونية تتلخّص في إثارة الشكّ في العالم الحسّيّ، وذلك حتى يعلم السائر في طريق الفلسفة أن العالم الذي يعيش فيه هو عالم الزيف والخداع.

- ويقيم أفلاطون تصنيفًا لأنواع المعرفة في العلوم المختلفة، على أساس تفرقته الميتافزيقية بين العالم المرئيّ والعالم المعقول، فيسمّى المعرفة التي تتناول العالم الحسّيّ بالظنّ، والمعرفة التي تتناول اللامرئيّ والمعقول بالعلم أو بالتعقّل.

ثم إن هذا الكتاب هو من المجموعة الجديدة التي بدأت بها باسم (المكتشفون العظام)، وقد أصدرت إلى الآن أربعة كتب من هذه المجموعة، ألا هي: كتاب أرسطو، وكتاب الإمام جعفر الصادق ﷺ، وكتاب الإمام علي ﷺ، وكتاب سقراط.

إلّا أن بعض الناس لم يقرؤوا كل هذه الكتب، ولذلك يتساءلون ما هي مصادر الكتاب ؟ ولماذا كتبت هذه المجموعة ؟

لذلك اضطررت أن أكرّر في هذا الكتاب ملخّصًا لما ذكرت في مقدّمة كتاب أرسطو، كي يفهم الناس الظروف التي تحيط بمصادر الكتاب والغرض من كتابته.

إن الأنبياء لهم إطّلاع على المعاني السامية في هذا الوجود، والتي تغيب عن مستوى أفكار الناس، ولذلك يسمّونها "الغيبيّات". ولأن الأنبياء لا بدّ لهم من إقامة الجسور مع الناس في مختلف مستوياتهم الفكريّة، فلا مناص من أن يبيّنوا ويوضحوا المعاني السامية بالأمثال العينيّة التي يراها الناس في حياتهم اليومية.

فالله سبحانه وتعالى أورد كثيرًا من الأمثال في القرآن الكريم لتقريب المعاني السامية إلى أذهان البشر.

وأيضا لنبيّ الله عيسى عليه السلام موعظة تسمّى موعظة الأمثال، غير الأمثال الكثيرة التي كان يضربها للناس، لتقريب المعاني إلى الأذهان.

فأنا أقتبس منه الآن (موعظة الأمثال) وذلك لمستوى الجمهور، وأيضًا (تفسير موعظة الأمثال) وذلك لمستوى الحواريّين.

١- موعظة الأمثال:

عندما كان عيسى يمشي على ساحل بحر الجليل، وإذا بجمهور عظيم من الناس قد تجمّعوا على الساحل لسماع كلامه. فركب قاربًا صغيرًا وأرساه قرب الساحل، بحيث يستطيع الناس سماع كلامه. فاقتربوا جميعهم إلى البحر، وجلسوا على الساحل، ينتظرون كلامه.

فتكلّم عيسى قائلًا: ذهب مزارع لبذر البذار. وعندما كان ينثر البذور، سقطت بعضها على الطريق العام، فداستها أقدام المارّة، وأكلت منها الطيور. وسقطت بعضها على الأحجار، وعندما نبتت احترقت تحت الشمس، لفقدانها الرطوبة. وسقطت بعضها وسط سياج الأشواك، وعندما نمت خنقتها الأشواك. وسقطت بعضها على الأرض الخصبة، فأثمرت ثلاثين ضعفًا بل ستين ضعفًا بل مئة ضعف.

وقال عيسى ثانية: كان هناك أب طيّب، وربّ أسرة حنون، زرع بذورًا طيّبة في حقله. وكان يحرس الحقل عبيد مخلصون. وعندما ناموا تسلّل عدوّ الأب الطيّب، وألقى بذور العوسج والحنظل على البذور الطيّبة. وعندما نبت القمح، نبتت في وسط القمح، كمّيّات كبيرة جدًّا من العوسج والحنظل.

فأتى العبيد إلى الأب الطيّب وقالوا: يا مولانا أما زرعت بذورًا طيّبة في حقلك ؟ إذن من أين نبتت كمّيّات كبيرة جدًّا من العوسج والحنظل في وسط القمح ؟ فأجاب

الأب الطيّب: أنا زرعت البذور الطيّبة، بيد أن الحرّاس ناموا، فتسلّل عدوّي إلى الحقل، وزرِع بذور العوسج والحنظل على بذور القمح الطيّبة.

فقال العبيد: هل تسمح لنا أن نقتلع العوسج والحنظل من وسط القمح ؟

أجاب الأب الطيّب الحنون: لا تفعلوا ذلك، لئلّا يُقتلع القمح الطيّب سهوًا من غير عمد. ولكن انتظروا حتى وقت الحصاد، وعندئذ اسحبوا العوسج والحنظل من وسط القمح، وألقوها في النار حتى تحترق، واجعلوا غلال القمح الطيّب في صومعتي.

وتكلّم عيسى مرّة أخرى قائلًا: ذهب مزارعون كثر إلى السوق، لبيع محصولهم من التين. بيد أنهم حين وصلوا إلى السوق، وجدوا أن الناس يبحثون عن الأوراق الجميلة، بدل التين الطيّب. لذلك فإن المزارعين لم يتمكّنوا من بيع محصولهم من التين.

فقام أحد الأشرار وقال: لا جرم سأصبح غنيًّا. ثم دعا ولديه وقال لهما: انطلقا واجمعا كميات كبيرة جدًّا من الأوراق مع التين الفاسد. فباعوا بضاعتهم مقابل الذهب والفضة، لأن الناس انجذبوا بقوّة إلى الأوراق، وشروها فرحين. فأكل الناس التين الفاسد، ومرضوا بشكل فظيع.

وقال عيسى ثانية: كان هناك رجل يمتلك ينبوعًا من الماء، وكان يعطي الماء لجيرانه، كي يغسلوا ملابسهم الوسخة، بيد أن الرجل نفسه سمح لملابسه أن تبقى نتنة متعفّنة.

وتكلّم عيسى مرّة أخرى قائلًا: انطلق رجلان لبيع التفاح. وكان أحدهما يبيع قشور التفاح مقابل الذهب والفضة، وكان لا يعتني بجودة التفاح. بيد أن الثاني كان يريد بيع تفاحه في مقابل خبز يسير لقوت سفره. ولكن الناس كانوا يشترون قشور التفاح

مقابل الذهب والفضة، ولا يعتنون بالرجل الثاني، بل كانوا يحتقرونه، على الرغم من أنه كان حاضرًا لبيع تفاحه الجيد برغبة واشتياق.

وهكذا تكلّم عيسى في ذلك اليوم إلى الجمهور بالأمثال. وبعدما صرف الناس وسرّحهم، ذهب في معيّة حواريّيه إلى نايين، البلدة التي أحيي فيها ابن الأرملة. وهنالك ضيّف الإبن وأمّه عيسى وخدماه.

٢- تفسير موعظة الأمثال:

اقترب الحواريّون من عيسى وسألوه: أيها المعلّم أخبرنا معاني الأمثال التي ضربتها للناس.

أجاب عيسى: إن ساعة صلاة المغرب قد اقتربت، فلذا سأخبركم معاني الأمثال بعد الصلاة.

وبعد الصلاة اقترب الحواريّون من عيسى فقال لهم: الرجل الذي ينثر البذور على الطريق العام وعلى الأحجار وعلى الأشواك وعلى الأرض الطيّبة، هو الذي يبلّغ كلام الله، الذي يسمعه عدد كبير من الناس.

إن كلام الله يقع على الطريق العام، عندما يسمعه البحّارون والتجّار، فينسونه بفعل الشيطان، بسبب رحلاتهم الطويلة، وتنوّع الأمم التي يتعاملون معها.

وإن كلام الله يقع على الأحجار، عندما يسمعها جلساء الأمراء، فلا يستوعبونها، بسبب قلقهم وانشغال بالهم الكبير بخدمة الأمراء. فهم رغم تذكّرهم لهذه المواعظ، إلّا أنهم ينسونها، فور تعرّضهم للمحن والبلايا والخطوب والشدائد، نظرًا إلى أنهم لا يراودهم الأمل في رحمة الله، لخدمتهم غير الله.

**وإن كلام الله يقع وسط الأشواك، عندما يسمعها أولئك الذين يعيشون في بحبوحة من العيش، وعلى الرغم من أن كلام الله يؤثر فيهم ويجتذبهم، إلّا أن الشهوات الجسدية، حينما تزداد، تخنق بذور كلام الله الطيبة، لأن التسلية الشهوانية تتسبّب لهم في نبذ كلام الله وراء ظهورهم.**

**وإن كلام الله يقع على الأرض الخصبة الطيّبة، عندما يسمعه أولئك الذين يخشون الله، فتنبت فيهم ثمرة الحياة الأبديّة. الحق أقول لكم: عندما يخشى الإنسان الله، فإن كلام الله في كل الأحوال يثمر فيه.**

أما الأب الطيّب وربّ الأسرة الحنون، فهو الله حقًّا أبو المخلوقات، لأنه خلق المخلوقات جميعهم. ولكنه ليس أبًا بمعنى الأب في الطبيعة. فهو الله الملك الحقّ، يزرِع بذر كلامه في حقل الجنس البشري. ولأن المعلّمين مهملون في تعليم كلام الله، بسبب انشغالهم بمشاغل الدنيا، فإن الشيطان يتسلّل إلى قلوب الناس، ويزرِع الأخطاء المختلفة، التي منها ينشأ عدد لا يحصى من مذاهب العقيدة الفاسدة.

فالأنبياء والأوصياء والأئمة الطاهرون والعرفاء وأولياء الله الصالحون والقدّيسون يصرخون قائلين: يا رب ألم تعط الناس العقيدة الحقة ؟ إذن من أين أتى هذا العدد الذي لا يحصى من الأخطاء ؟

أجاب الله تعالى: لقد أعطيت الناس العقيدة الحقة، بيد أن الشيطان تسلّل خلسة إلى قلوبهم، وزرِع الأخطاء، كي يبطل ناموسي وقانوني ويعدمه، بسبب انصياع الناس واستسلامهم للباطل والزهو والعُجْب والغرور والخيلاء.

وقال القدّيسون: يا رب اسمح لنا أن نقشع هذه الأخطاء ونبدّدها، بإهلاك الناس وإفنائهم.

أجاب الله: لا تفعلوا ذلك، لأن المؤمنين لهم صلة القرابة الوطيدة مع الكافرين، بحيث أن المؤمنين سيفنون، إذا أبيد الكافرون وأهلكوا. ولكن انتظروا إلى يوم القيامة، حينما يجمع ملائكتي الكافرين، ويلقون بهم وبالشيطان في نار الجحيم. في حين أن المؤمنين الصادقين سوف يأتون إلى ملكوتي.

ومن المؤكّد أن الكثيرين من الكافرين سيلدون الأبناء المؤمنين، ولأجلهم ينتظر الله، كي يتوب المخطئون ويندموا على آثامهم.

أما أولئك الذين يبيعون محصولهم من التين الطيّب، فهم المعلّمون الصادقون، الذين يعظون العقيدة الحقة، بيد أن أهل الدنيا الذين تسرّهم الأكاذيب، ينشدون أوراق الكلمات الجميلة، وكلام المداهنة والتمليق والنفاق والمدح والإطراء من معلّميهم.

ونظرًا إلى ذلك، يقوم الشيطان بمعيّة ولديه الجسد والحواسّ، ويأتي بكميات كبيرة من الأوراق، أي كميات من متاع الدنيا وزينتها وزبرجها، كي يغطّوا بها آثامهم، وبذلك يمرض الإنسان، ويستعدّ للهلاك الخالد، وللنار التي هم فيها خالدون.

أما الرجل الذي يمتلك ينبوعًا من الماء، ويهب الماء لجيرانه، كي يغسلوا ملابسهم الوسخة، بيد أنه يسمح لملابسه أن تبقى نتنة متعفّنة، فهو المعلّم الذي يعلّم الآخرين التوبة والندامة، بيد أنه نفسه لا يزال باقيًا على الذنوب والمعاصي والآثام، ولا يتوب عنها ولا يندم عليها.

ما أشقى مثل هذا الإنسان ! يعلن بلسانه عقابه المناسب له، قبل أن تعلنه الملائكة !

ماذا لو وجد مخلوق على هذه البسيطة يكون عنده لسان فيل، بيد أن بقيّة جسده بحجم النمل، أما يكون مثل هذا المخلوق وحشًا غريب الخلقة ! بلى بالتأكيد.

الحق أقول لكم: إن الذي يعظ الآخرين التوبة والندامة، في حين أنه بنفسه لا يندم على آثامه ولا يتوب عنها ولا ينيب، لأشنع وأمسخ وأفظع وأغرب خلقة من ذلك المخلوق.

**أما الرجلان اللذان يبيعان التفاح: فالواحد منهما يعظ حبًّا في الله، ولا يداهن ولا ينافق ولا يتملّق، بل يعلّم التعاليم الإلهية بصدق وإخلاص، ولا يبتغي إلّا الكفاف من الرزق ومعيشة الرجل الفقير. بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيده، إن مثل هذا الرجل لا يعبؤ به أهل الدنيا، بل على العكس يحتقرونه ويستخفّون به.**

**أما الرجل الثاني الذي يبيع قشور التفاح مقابل الذهب والفضة، ويرمي بلباب التفاح بعيدًا، فهو الذي يعظ الناس، كي يسرّهم ويفرحهم، بدل أن ينبّههم من سباتهم باللوم والتوبيخ والتعنيف. وبنفاقه ومداهنته وتملّقه هذا، يدمّر ويفسد روح مستمعيه، الذين يتبعونه ويحتذون به، ويستسيغون مداهنته وتمليقه ونفاقه. يا ترى كم من الناس هلكوا لهذا السبب[1]!**

ولا يخفى عليك ما لنبيّ الله إدريس عليه السلام من أمثال، أوردتها في كتابي (أسرار النفس البشريّة) بكلّ أجزائها. ففي فجر عهد الإنسان المتحضّر في زمن إدريس، في عهد ما قبل طوفان نوح، كانت الاصطلاحات اللغوية لا زالت قليلة، فما أكثر ما عبّر نبيّ الله إدريس هذه المعاني السامية بأمثال عينيّة !

كانت الحياة في زمان الأنبياء بسيطة جدًّا، وكان لا بد للأنبياء من ضرب الأمثال من الحياة البسيطة التي كان الناس يعيشون فيها.

إلّا أن هناك تطوّرات كبيرة حدثت في الحياة البشرية منذ ذلك الحين. فمن ناحية أن رسالات الأنبياء لم تتوقف، وهذه الرسالات مستمرّة في العرفاء لكي يبيّنوها

[1]: من كتابي هكذا تكلم عيسى عليه السلام.

ويوضحوها للناس، ومن ناحية أخرى تطوّرت الحضارات البشرية بتطوّر العلوم الطبيعية، وعلى الأخصّ منذ القرن السابع عشر، حيث بدأ التطوّر العظيم في علوم الفلك، من كوبرنيك إلى غاليليو إلى كبلر وإلى نيوتن، ثم بدأ التطوّر في علوم الفيزياء والكيمياء منذ القرن الثامن عشر.

ثم انقلبت حياة البشر الحضارية رأسًا على عقب بظهور التلغراف والكهرباء والمصباح المتوهّج والتليفون والتسجيلات الصوتية والسينما والراديو والتلفزيون وغيرها.

وأصبح الإنسان يعيش في مستوى آخر من الحضارة تختلف جذريًّا عن الحضارات التي سبقتها، فأصبح النور يعمّ المنازل والمدن على الكرة الأرضية، وتوسّعت الاتّصالات بدءًا من التلغراف والتليفون إلى الأقمار الصناعية في الوقت الحاضر.

وبدأت الحياة المنزليّة تتغيّر بدءًا من عهد الراديو والتلفزيون إلى الإنترنت المتاح في الوقت الحاضر، وتغيّر نمط الحياة البشرية رأسًا على عقب.

وفي خضمّ هذه التطوّرات في الحضارة البشريّة تزايدت مجالات الأمثال لتوضيح المعاني السامية التي يعيشها الأنبياء والعرفاء. فصرنا بحاجة إلى موسوعة معارف للعلوم الطبيعية، وإلى سيرة المكتشفين العظام ومنجزاتهم، التي أسهمت في بناء هذه الحضارة الجديدة، حتى يكون مرجعًا مناسبًا لتوضيح المعاني الإلهيّة السامية.

فبدأت في هذا المشروع لتسهيل عمل العرفاء والأولياء لتوضيح هذه المعاني السامية، حتى يبقى الجسر قائمًا بينهم وبين المستويات الفكرية المختلفة عند البشر.
ومن بين عمالقة المساهمين الكبار الكثر في هذه الحضارة الجديدة، انتخبت المكتشفين العظام التالية أسماؤهم، حسب التسلسل التاريخي: سقراط وأفلاطون وأرسطو والإمام

علي ﵇ والإمام جعفر الصادق ﵇ ونصير الدين الطوسي وابن الشاطر وكوبرنيك وكبلر وغاليليو وهيوجنس وابن النفيس ووليام هارفي ونيوتن ولافوزيه وجيمس واط وفاراداي وتيموني وباستور وماكسويل واديسون ورونتغن وبكريل ومدام كوري وهنري بوانكاريه وآينشتاين ورذرفورد والأخوان رايت وماركوني وبيرد.

وسوف أخصّص كتابًا لكلّ واحد من هذه الأسماء الكبار، والذين ينتمون إلى مجموعة المكتشفين العظام، حيث استقيت المعلومات من كتبي: أسرار النفس البشريّة، وهكذا تكلّم عيسى ﵇، ووحدة الإرادة في الوجود، وهكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق ﵇، والقوى الكونيّة، وأيضًا مصادر الإنترنت المتاحة.

# أفلاطون في محاورة

# الإمام الصادق عليه السلام مع تلميذه

سأل جابر: سمعت أن العبقريّ والمجنون متشابهان، فهل هذه النظريّة صحيحة؟

أجاب الإمام عليه السلام: أوّل من أبرز هذه النظريّة هو أفلاطون. بيد أن أفلاطون لم يصرّح بالشباهة بين العبقريّ والمجنون، ولكنه قال إن الإنسان إذا لم يمسّه شيء من الجنون لا يقول الشعر. لأن الشعر حسب نظريّته وسيلة لبيان أفكار لا يستفيد منها أحد من أجل تحسين معيشته. وإن إبراز أفكار لا تعود على أحد بالفائدة، ولا حتى على الشاعر نفسه، هو ليس من عمل العقلاء. ولذا حسب نظريّة أفلاطون: كل شاعر مجنون شيئًا ما.

وفي اليونان القديم كان هناك شعراء يتمتّعون باستعداد خاصّ في بيان الشعر، وكانت قابليّة بعضهم كبيرة بحيث سمّوهم اليونانيون عباقرة. ولأن أفلاطون كان قد قال بأن الشاعر مجنون، برز بعض الباحثين في اليونان، من بعد أفلاطون، الذين قالوا: إذا لم يكن العبقريّ مجنونًا، إلا أن هناك شبهًا كبيرًا بين العبقريّ والمجنون.

إن هذه النظريّة غير صحيحة، والعبقريّ لا يشبه المجنون بشيء. المجنون من كان في تصرّفاته لا يتبع العقل السليم، وكل أعماله يمجّها العقل السليم. بيد أن المجنون يظنّ نفسه عاقلًا، وهو على يقين بأن كل أعماله مبنيّة على العقل. إلا أن العبقريّ يحظى بعقل سليم، وكل أعماله يستحسنها العقلاء الآخرون.

أتصوّر بأن هذه النظرية التي تقول بأن هناك شبهًا بين العبقريّ والمجنون، ومنشؤها اليونان القديم، سببها أن بعض العباقرة لا يهتمّون كثيرًا بأمور الحياة العاديّة،

لأن اهتمامهم ينصبّ في مسائل أعلى من أمور الحياة العاديّة. وعدم اهتمامهم بالحياة العاديّة اليوميّة أثار أفكارًا في بعض الناس بأنّهم مجانين.

واستمرّ الإمام عليه السلام قائلًا: أفلاطون هو أول من قال بأن الشاعر مجنون، بيد أن هناك مفارقة عجيبة في تعليماته، وهو مثال السرداب المظلم الذي ضربه لتلاميذه. ومع أنه ضرب هذا المثال لغرض آخر، إلّا أنني أريد أن أستفيد منه لتحليل هذا الموضوع.

يقول أفلاطون: فلنفرض أن جمعًا من الناس يعيشون في سرداب مظلم، لم تصل إليه أشعّة الشمس يومًا ما، غير انعكاس قليل ونذر يسير من النور الخارجي. ولنفرض أن وسائل الحياة مهيّئة لهم في ذلك السرداب، وأنّهم لم يغادروا السرداب في يوم من الأيام، ولم يشاهدوا ضوء الشمس في النهار، ولا نور النجوم في الليل، ولم يعرفوا عن العالم غير هذا السرداب وجدرانه.

ولنفرض أن جمعًا من الناس العاديين دخلوا في ذلك السرداب، من الذين كانوا يعيشون في خارج السرداب، ويشاهدون طلوع الشمس وغروبها في كل يوم، والقمر والنجوم في كل ليلة، والذين كانوا يشاهدون في هذا العالم الجميل وديانًا، ومروجًا خضراء، وجبالًا شامخة شاهقة شمّاء، وبحارًا ومحيطات عميقة، وحيوانات أليفة، وطيورًا وزواحف وأسماكًا وسائر الحيوانات، وأشجارًا وأدغالًا وأعلافًا، وأنواعًا كثيرة من النبات، والتي كانت ترتوي من سحاب السماء.

والحالة الأولية التي أصيبوا بها هي العمى لانتقالهم من الخارج إلى داخل السرداب، ومن النور إلى الظلام، والتي تحتاج إلى فترة حتى تتعوّد عيونهم على الظلام. أما الذين يعيشون في السرداب، فكانوا يرونهم ويسخرون من حالة العمى التي هم فيها.

ومرّت فترة تعوّدت عيونهم فيها على الظلام، واستطاعوا رؤية الذين هم في السرداب. ثم بدأوا يتكلّمون إليهم عن العالم الجميل الذي يقع في خارج السرداب: عن الشمس المضيئة، والأشجار والنبات، والمروج الخضراء، والطيور التي تطير في الهواء، والحيوانات التي تأكل الأعلاف، والرياح التي تهبّ في الفضاء.

فسخر ساكنوا السرداب منهم لأنهم لم يفهموهم، وأنّى لهم أن يدركوا ما هي الشمس، وما هي الحيوانات، وما هي الأشجار والنباتات، وما هي الرياح، التي لم يعهدوها في حياتهم قط !

لقد بقي مستواهم الفكريّ في أسفل سافلين، بل أحطّ وأدنى وأسفل من الحيوانات، التي عهدت على أقلّ الأحوال توالي الليل والنهار. وبهذا المستوى من الفكر الجامد السافل المتدنّي المنحطّ، اعتبروا هؤلاء الناس الذين أتوا من خارج السرداب مجانين.

يا جابر ! نحن نعلم يقينًا بأنهم عقلاء، بيد أن ساكني السرداب يرونهم مجانين، لأنهم لا يدركون أفكارهم العالية، ويرونهم لا يهتمّون بنمط وتقاليد حياتهم اليوميّة، ولا يريدون أن يلبسوا الثياب ويأكلوا الطعامويناموا مثلهم. وهذا ما يثبت لهم بأنهم مجانين، لأنهم إن لم يكونوا كذلك، لاهتمّوا بأمور حياتهم اليوميّة ونمطها وتقاليدها.

كذلك العباقرة مثلهم كمثل هؤلاء الذين أتوا من خارج السرداب، وبعضهم لا يهتمّون فعلًا بأمور حياة الناس العاديّة، ومن الطبيعيّ أن يعتبرهم الناس وعلى الأخصّ العوام مجانين.

واعلم يا جابر: إن النظريّة التي تقول بأن بين العبقريّ والمجنون شباهة، غير صحيحة، وإن نظريّة أفلاطون بأن الشاعر مجنون غير صحيحة أيضًا. لأن أفلاطون قد

تصوّر بأن أيّ فكر يبرزه الإنسان لا بدّ أن تكون له نتيجة ماديّة له أو لغيره. وعلى الرغم من أنه كان حكيمًا، إلا أنه لم يدرك بأن هناك أفكارًا لا تحمل قيمة ماديّة ولكن قيمة معنويّة.

وبعض هذه الأفكار تتضمّنها القوالب الشعريّة. وإذا كان الشاعر مقتدرًا وصاحب ذوق، فإن القارئ أو المستمع يلتذّ بشعره، ويشعر بانبساط الروح والشوق والفرح والهيجان والسرور.

وهل كان باستطاعة أفلاطون العيش من دون نتاج الذوق والقريحة ؟ فكيف كان يذمّ الشعر ؟ وبلا شك كان قسم من تعليماته وتدريسه لا يمتّ إلى ذوق أو قريحة غير ذوق الحكمة وقريحتها.

ومن الأشياء التي تصفّي الروح وصفُ الإنسان ومدحهُ لجمال الطبيعة التي خلقها الله. ويا ترى ما هو أحسن وسيلة لذلك وأعلاها وأكثرها تفوّقًا وتأثيرًا في البشر غير الشعر أو الحكمة !

كل شيء حسن وجميل في محلّه، ولا بدّ من الشعر والحكمة، كلّ في محلّه. لا أقول أنه ليس ممكنًا بيان الحكمة بلسان الشعر. إن قسمًا من أشعار جدّي عليّ عليه السلام هي في الحكمة والنصيحة والأخلاق.

بيد أنه لا بدّ من الشعر، في مناسبات معيّنة، في حين أنه ليس بمقدور الحكمة بيان ما يقدر عليه الشعر.

إحدى المناسبات التي يستخدم فيها الشعر هو الرجز، وهل سمعت يا جابر أحدًا يقول الرجز بلسان الحكمة ؟ أنا لا أجوّز الحرب وسفك الدماء، لكنني أقول بأن لسان

الحكمة، مهما كان لائقًا وجميلًا ويتضمّن الدليل والبرهان، إلّا أنه لا يليق بالرجز، ولا يستطيع وصف جمال الزهور والورود، كما يفعل لسان الشعر.

إن لسان الحكمة يتضمّن الدليل والبرهان، في حين أن لسان الشعر يتضمّن الأحاسيس البشريّة.

من الممكن أن نوضّح الفرق بمثال ونقول: إن لسان الحكمة كمثل مطرقة النجارة الحديديّة في يد النجّار، يقطع بها الخشب ويصنع بها ما يحتاجه البشر من الأثاث وغيرها من اللوازم الخشبيّة. بيد أن لسان الشعر كمثل مروحة ريشيّة تبرّد الإنسان، وإذا أصابت ريشتها وجه الإنسان أو أيّ جزء من أجزاء بدنه، فلا تضرّه ولا تؤذيه.

وما أكثر عجبي من أفلاطون، الذي كان حكيمًا وصاحب أقوال في الحكمة تنوّرت بها صفحات الأدب، كيف يقول بأن الشاعر مجنون، وإن أقواله وأفكاره لا تنفع شخصه ولا تنفع الآخرين !

فقال جابر بن حيان: إن كلامك قد أثّر فيّ كثيرًا، ولقد حصل لي الجزم واليقين بأن ما قاله أفلاطون في الشعراء بعيد كل البعد عن العقل السليم.

# السيد حسن المسقطي
# وقصّة سرداب أفلاطون

ما أشبه قصّة عمّي السيد حسن المسقطي بقصّة أفلاطون عن السرداب المظلم، والشخص الذي أتى إلى السرداب من العالم الخارجي.

يقول العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان – قدّس سرّه: "وأفلاطون هو صاحب حكمة الإشراق، وكان رئيسًا لسلسلة الرواقيّين، وكان يحصل له انكشاف للحقائق والمعارف الإلهية بواسطة الرياضات والمجاهدات الباطنيّة عن طريق تصفية الباطن"[٢].

وما أقرب اشتباه الأمثال ! كما يقول مولانا الإمام علي عليه السلام.

ومجمل القصّة أن جماعة من الناس كانوا يعيشون في سرداب مظلم، وقد ولدوا فيه وترعرعوا في داجيات غياهب دهاليزه، ومدلهمّات أزقّته الضيّقة، وحنادس[٣] غرفه الكثيرة، قد مدّ الظلام رواقه[٤] الأسود في أغوارها، وعسعس الليل في جميع كهوفها وأوكارها، وتشابهت غياهب جبّها في كلّ مسالكها وأطوارها. فهم لم يرووا النور في حياتهم، ولم ينلهم شعاع دافئ من ضوء الشمس، ولم يطلّ عليهم سلسبيل بارد من نور القمر.

---

(٢): كتاب " الشمس الساطعة " صفحة ٣٨٩ لآية الله الراحل السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني.

(٣): الحنادس = المدلهمّات = الغياهب = الظلمات.

(٤): رواق الليل = مقدّمه وجانبه.

واستمرّت حالتهم على هذا المنوال، إلى أن أتى إليهم شخص من العالم الخارجيّ، وبدأ يتكلّم إليهم بأشياء غريبة لم يعهدوها في حياتهم – عن عالم مشرق جميل، وروضة تزهر بالورود الحمراء، وتنتشر عليها الأنوار البيضاء، وعن حقول خضراء مترامية الأرجاء، وعن القبّة الزرقاء مزيّنة بالنجوم الزهراء، وعن الشمس وحرارتها وضيائها الذي يبهر العيون، وعن القمر ونوره الذي يلهم العاشق المفتون، ويثير دفائن الإبداع في الشاعر المحزون، وعن عبير المسك والورود والأزهار والرياحين، وعن صفير البلابل وخرير الجداول، وعن أنهار جارية ومناظر خلّابة ساحرة، وعن غابات خضراء تظلّلها الأشجار الباسقة، وتغرّد فيها الطيور الصادحة، وترقص وتشدو وتروح وتغدو في ألوان خلّابة زاهية، وغيرها الكثير من عجائب وغرائب لم تعهدها آذانهم من قبل.

فرابهم أمره وأهمّهم همّه، فبرموا[٥] به واستثقلوا ظلّه، وامتعضوا منه امتعاضًا شديدًا. وظنّوا بأنه يفعل ذلك ليتغفّلهم عن أموالهم، ورفعة جاههم ومقامهم، وليختلس من غفلة الناس وسذاجتهم غرّة، وينصب الحبائل لاستلاب الجيوب، وامتلاك أزمّة الأمور. وإن أحدهم ليؤثر أن يتخطّفه الطير أو يسقط عليه كسف من السماء على أن يستكين لإغراءاته، أو يسكت على مؤامراته، فهم ينهون عنه وينؤون عنه.

إلّا أن ثلّة منهم أظهروا الاشتياق إلى هذا العالم الجديد الذي يتكلّم عنه، وكبر هذا الشخص في ذرعهم[٦]، وألهب بيانه الشيّق حماسهم، وأثار أشواقهم ودفائن أمنياتهم، فأقبلوا عليه في شوق وغرام، يستمعون إلى لذيذ كلامه ولطيف بيانه، وسلوا[٧] عن شهوات نفوسهم، وانقطعوا إلى السلسبيل العذب من كلمات حبيبهم. إلّا أن كبار القوم،

[٥]: برم به = سئمه وضجر منه.

[٦]: كبر في ذرعه = عظم وقعه عنده

[٧]: سلا عنه = نسيه، طابت نفسه عنه وذهل عن ذكره وهجره.

ومن ورائهم الأكثريّة العالمة الجاهلة، لم يستسيغوا تلكم التحوّلات، ورأوا في السماء غمامة دكناء توشك أن تنفجر بالصاعقة الكبرى. فعمدوا إلى المبادرة بإخمادها، وعندما لم يفلحوا وأعيت حيلتهم في إسكاته، صمّموا على إبعاده من أوساطهم.

وما أقرب اشتباه الأمثال ! وأشبه العارف بذاك الشخص الذي أتى من العالم الخارجيّ، ونزل إلى السرداب في ليلة حالكة الجلباب غدافية الإهاب[٨] !!

كذلك عمّي السيد حسن المسقطي ظهر في النجف الأشرف، وبدأ يتكلّم إلى الطلّاب في صحن الإمام علي عليه السلام في حرارة وحماس بالغين، وفي فصاحة وبلاغة منقطعتي النظير. وانبرى له من هنا وهناك معترضون يحتجّون على بيانه، فبذّهم بكلامه وغلب جميع المجادلين والمعاندين بحججه وبراهينه. فمالت ثلّة منهم إلى كلامه البليغ وإلى الحكمة الكامنة فيه كمون النار في الزند. فالتهبت أرواحهم شوقًا إلى النعيم المقيم، وسلوا عن سقط المتاع وتوافه الأمور.

إلّا أن كبار القوم لم يحتملوا ذلك فحاولوا إسكاته، وانضمّ إليهم الأكثريّة العالمة الجاهلة، تختلق شتّى الانتقادات، وترميه بالسهام الجارحات، وتصوّب إليه من فظائع الاتّهامات. وعندما لم يبد انصياعًا ولم يسكت، بل استمرّ في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة، عمدوا إلى إبعاده من أوساطهم، بحجّة المهاجرة إلى بلاد الله الواسعة لتبليغ الدين وترويجه.

وشاءت الأقدار أن يأتي عمّي السيد حسن المسقطي إلى مسقط حيث احتضنته الأرض الطيّبة، واستقبلته القلوب البكر الصافية، وأخذت تتجمّع في عشّه وتتآخذ كما تتآخذ الأفراخ[٩] في أعشاشها.

---

[٨]: الغداف = الغراب الأسود، الإهاب = الجلد.

وتجمّعت حوله حفنة من الأصدقاء المحبّين له ولأسلوبه في الحياة، ومن المريدين العاشقين لله، الذين رفعهم السيد حسن إلى شرفاته الشمّاء التي تطاول أفلاك السماء، وإلى ذرى آمالهم وأمنياتهم في الوصول إلى الله. فتعلّقوا به تعلّق الأفراخ بأعشاشها والفصيل بأمّه، حتى أن بعضهم انصاع إلى أوامره بالسفر إلى النجف الأشرف والتلمذة عند أستاذه ومربّيه، حيث سافر وبقي في كنف الوليّ المرشد إلى ما شاء الله. وأن بعضهم لم يحتملوا مفارقته عندما سافر إلى الهند، وتركوا أوطانهم وهاجروا إليه واتّبعوه اتّباع الفصيل في اثر أمّه.

وبقي الآخرون في أوطانهم كأنهم سكارى من رشفة خمره، وحيارى في عظيم أمره، يتهامسون بعميق أسراره، وكشف الغيب ومعجزاته، وخوارق عاداته وكشفيّاته، ينقلونها من جيل إلى جيل، ومن صدر إلى صدر، حتى انغرس حبّه وأثمر غرسه وامتدّ عليهم ظلّه، كالشجرة التي ابتدأت بذورًا وتعمّقت جذورًا، وترعرعت وريقات خضراء نامية، وأغصانًا غضّة ليّنة، وأزهارًا طريّة وثمارًا جنيّة، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع. ثم نمت شجرات مؤلّفات ومختلفات، صنوان[١٠] وغير صنوان، ترقص فوق بساط الأزهار، وتحت ظلال الأثمار، تغنّي فوق أغصانها الأطيار، وتشدو على باسقاتها البلابل بشجي الألحان والأوتار، وتزقزق خلال أوراقها الخضراء العصافير في بهجة وفرح وسرور وحبور.

وما هذا الكتاب إلّا إحدى ثماره ولطيفة أزهاره، فلقد نمت شجرة العرفان عندنا، ونحن أطفال صغار، نحبو على أرض الأحرار، وتغذّت من همسات الأجيال

---

[٩]: تتآخذ الأفراخ = آخذة بعضها بأعناق بعض.

[١٠]: صنوان = توأمان من الشجر يشتركان في جذع واحد.

وزمزمة[١١] الرجال، وكنا نصغي إلى القصّة الخالدة عن عالم قريب بعيد، وجمال الوجه الرشيد، وعن الملأ الأعلى والسموات العلى، وعن فتوحات العارفين وأكوان المفلحين، فكانت تنفض عنا غبار الشهوات، وهيمنة الغرائز والرغبات، وتقبل بنا على شرف الحرّيّة من قفص الدنيا الدنيّة، وعلى أسرار المعرفة ومغاليق الحكمة، نخترق بها حنادس الجهالة ومهاوي الضلالة.

وعندما ظهرت في مسقط آثاره، وانجلت أسراره، وتوطّدت هاهنا بنيان الوحدانيّة، وأمطرت مطر الرحمانيّة، ذاع صيته، وانتقلت أخباره إلى النجف الأشرف، وإلى الحوزات العلميّة في قم ومشهد ولبنان والبحرين والإحصاء وحيدر آباد وممبي وكشمير ولكنور، مهد العلوم في أرض الهند المترامية الأطراف. فسمّوه لذلك بالسيد حسن المسقطي، لانتماء هذه الدوحة الباسقة من العلم والمعرفة والعرفان إلى بلاد مسقط وربوع الباطنة ومطرح. ولا زالت بصمته واضحة بيّنة على ربوع هذه البلدة الطيّبة، فالقلوب الصافية تميل إلى مناهل العرفان، ورياض المعرفة والغدران[١٢]، وأودية الحقّ والغيطان[١٣]، وعيون العلم التي لا تنضب، ولا تغيضها[١٤] الكثرة من الروّاد والماتحين[١٥] والشاربين والواردين.

وكما في قصّة أفلاطون عن السرداب المظلم، فقد رافقته قلّة من المريدين في رحلته المقدّسة، ألا هي رحلة السير والسلوك، عبر الدهاليز الحالكة والأزقّة الضيّقة، إلى مقامات شاب فيها غراب الليل، ونصلت حنادسه من خضابها، واشتعل المبيض في

---

[١١]: زمزم المغني = ترنّم، وزمزمت به شفتاه = تحرّكت.

[١٢]: الغدران = الأحواض.

[١٣]: الغيطان = الحقول الخضراء.

[١٤]: يغيض الماء غيضًا = ينقص وينضب.

[١٥]: الماتحون = الذين يستخرجون الماء من البئر.

مسودّها، وأخذ الفجر يمسح عن وجهه صبغة الظلام، وطار نسر الصباح وحلّق عاليًا في الفضاء، وترفرفت أجنحة النور، وتزقزقت العصافير والطيور، وقصفت[١٦] أجنحة الطير، وانسابت أشعّة الفجر، ونشرت الشمس من تحت الأفق، أشعّتها الساحرة الملوّنة بأطياف قوس قزح، على نمارق المروج الممهّدة[١٧]، وبساط الطبيعة المنبسطة، وعلى الغيطان الخضراء، والرياض الغنّاء، والبساتين الفيحاء[١٨]، وبدأت أنامل الشفق ترسم بليقتها[١٩]، وتصوّر بريشتها أنواع الفنون على سماء الصباح، الذي استيقظ من بعد سبات، وأشرق من بعد الغياهب والدياجير[٢٠]، وتثاءب من بعد نوم طويل، وتحرّك من بعد ركود ثقيل.

واستمرّوا في الرحلة المقدّسة، حيث فتح الله لهم كنوز الذهبان[٢١]، ومعادن العقيان[٢٢]، ومغارس الجنان، وثنوا أعطافهم[٢٣] نحو المعطي، وسلوا عن العطاء، وتعطّفت[٢٤] الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت، يطاول عنان السماء، وأفلاك القبّة

[١٦]: قصف = صوت الأجنحة.

[١٧]: النمارق الممهّدة = الفرش الواسعة.

[١٨]: البساتين الفيحاء = الواسعة.

[١٩]: ليقة الدواة = صوفتها.

[٢٠]: الغياهب = الدياجير = الظلمات.

[٢١]: الذهبان = الذهب.

[٢٢]: العقيان = الذهب الخالص.

[٢٣]: ثنوا أعطافهم نحوه = اتّجهوا نحوه، ثنى = طوى، أعطاف = جوانب.

[٢٤]: تعطّفت الأمور = سهلت، تعطّف = انحنى ومال، تعطّف عليه = رقّ له وبرّه.

الزرقاء، ويضرب بجرانه[٢٥]، ويتّسع نطاقه. وقد فلق الله لهم أسماع باطنهم وبصائر أفئدتهم، يفضي إليها الوجود بالأسرار، وتهمس إليها الأكوان بجواهر علم الأحرار[٢٦].

[٢٥]: ضرب الملك بجرانه = ثبت واستقرّ.

[٢٦]: من كتابي قدوة العارفين.

# ضرورة التأمّلات والصلاة في الحياة

إن الحياة الحديثة اليوم هي حياة الجشع، والقيمة السائدة المهيمنة التي يسعى الناس وراءها هي المال. وأكثريّة الناس مسخّرون للعمل طوال اليوم من دون تخصيص وقت للراحة والتأمّل وانفراد الإنسان مع نفسه، وذلك لإشباع ثقافة الربحيّة في مجتمعنا الحديث وإرضاء للقيم السائدة فيه.

لذلك ظهرت تيّارات في مناهج إدارة الأعمال الحديثة تنادي بتخصيص وقت للتأمّل واختلاء الإنسان مع نفسه في أثناء الدوام، والتي تساعد على تخفيف توتّرات العمل والمحافظة على نقاء الذهن وهدوء البال، ومن ثمّ على حسن أداء العمل ذاته وزيادة الربحيّة والمال.

وبغضّ النظر عن المجتمع الحديث ومتطلّباته التي تستتر وراء الجشع وحبّ المال، فإن العبادة والتأمّلات حاجة روحيّة في الإنسان، إذا لم يعرها الإنسان اهتمامه اعترته شوائب جمّة وتوتّرات الروح والنفس والبال والذهن، وابتعد الإنسان عن حياة الاسترخاء والسكينة والهدوء والطمأنينة.

إن العبادة والتأمّلات كانت من قديم الزمان طريق الإنسان إلى السكينة وهدوء البال وطمأنينة الروح، وكانت تساعد الإنسان على معرفة نفسه وإصلاح ذاته من شوائب جمّة، ومراقبة نفسه ومحاسبتها والإطّلاع على عيوب الذات، والالتجاء إلى الله لإصلاح تلك العيوب.

وكذلك التجأ بعض العبّاد المتفرّغين في الأديان القديمة إلى الكهوف والجبال والأديرة لإرضاء هذه الحاجة الأساسيّة في تربية نفوسهم. إلا أنه من الناحية العمليّة ولإرضاء الغرائز الأخرى في الإنسان كان لا بدّ له من العمل لإشباع غريزة الجوع في نفسه وأهله وأولاده. وكان لا بدّ له أيضًا من الزواج لإشباع غريزة الجنس وإنجاب الأولاد وغيرها.

لذلك يسّر الله سبحانه وتعالى في الشريعة الإسلامية نمطًا من الحياة لإرضاء الحاجات الروحيّة والحاجات الغريزيّة معًا. وأتاحت للمسلمين فرصة للعمل من أجل الدنيا لاكتساب الرزق والزواج وإنجاب الأولاد وتربيتهم وغيرها من الاحتياجات الماديّة الضروريّة. وفي نفس الوقت أتاحت للمسلمين وقتًا كافيًا للتأمّلات والصلاة والمناجاة مع الله.

ولتكن تأمّلاتك تحرّرًا من عناء الأرض، وتجرّدًا من حدود الزمان والمكان، وترنّمات في الملأ الأعلى. إن للقلب فصولًا كما للحقول فصول، فاجعل نفسك تسمو بعقلك إلى مستوى فصول القلب حتى تتهنّأ ويشرح صدرك، وحتى تمرّ بك الأيّام عذبة صافية جريان الغدير المترقرق على بياض الحصباء.

إن في صلاتك وتأمّلاتك نفحات عطريّة رحمانيّة مترقرقة، فتعرّض لها ولا تعرض عنها، ولا تفتك بركاتها، لأنها ترصّع القبّة الجوفاء فيك بمصابيحها اللامعة، وتفوّح أجواز الفضاء فيك بعطورها الزاكية، وتوقع على قيثارة قلبك أنغامها الشجيّة، وتملأ كأسك من ينبوع الشراب الطهور، وتعطّر أنفاسك بمزامير النبيّ داود، وتملأ وجودك بنور سماويّ غريب، كأنه قبس من النور الإلهي العجيب.

وإن أنت أقبلت على الصلاة بحضور القلب، وكانت الصلاة لك معراجًا، ما فارقت سمعك هينمة[٢٧] الملائكة، ولا فارق أنفاسك عبق طيب الملكوت.

وهل الصلاة غير اتّساع ذاتك في الأثير الحيّ ؟ فلتكن صلاتك مدعاة للهيام السماويّ والعشق الإلهيّ، ومدعاة للوصول إلى قدس الأقداس بقلبك الأعظم. ولتكن صلاتك في بكور الأيّام وأصائلها، وانشد مكنونات قلبك في أذن الليل. ويا ليتك أبثثته ذات نفسك، واستمطرت شآبيب رحمته، في آناء الليل وأطراف النهار.

خادع نفسك في العبادة، وارفق بنفسك ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها. ويا ليتك تسمو على ما يموت منك في الأرض ! وتتّخذ لنفسك مخدعًا في السموات، ضارعًا إلى الله أن يكلؤك بعين رعايته، ويبسط عليك جناح رحمته، وأن يهيّئ لك من أمرك رشدًا. إنه الجواد الذي لا يغيضه[٢٨] سؤال السائلين.

إن من يصلّي في شوق ولهفة يضرع إلى الله أن يكشف على ذاته مكنوناته. إنه يذوب في جدول متدفّق يشنّف آذان الليل بأنغامه. وفي سكينة الصلاة تعرف قلوب المصلّين أسرار الأيام والليالي. وفي معراج الصلاة يكون المصلّي واحدًا مع ذاته. وفي أوقات وحدته يصلّي الإنسان ويعيش مع ذاته في صفاء ووئام، ومن سكينة الذات تنبثق السكينة العظمى، وتعمّ وجود الإنسان بأسره. وفي أثناء الصلاة تفوح الروح وبرازخ الروح بعطرها وتتزيّن بأبهى حلاها. . إنه المعراج في الصلاة الذي يوصل السالك إلى المحو والطمس والمحق، بمعنى فناء أفعال السالك في فعل الحقّ، وفناء صفاته في صفات الحقّ، وفناء وجوده في ذات الحقّ.

---

[٢٧]: الصوت الخفيّ.

[٢٨]: تتساقط الذنوب وتتناثر كما تتساقط أوراق الأشجار وتتناثر.

إنّها الصّلاة لَتحُتُّ الذُّنُوبَ حتَّ الْوَرَقِ[٢٩]، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ[٣٠]، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحَمَّةِ[٣١] تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ، مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ.

يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ[٣٢]: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَصِباً[٣٣] بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ[٣٤]: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ. كما قال مولانا ومقتدانا الإمام علي عليه السلام[٣٥].

إن الروح نفخة من ربّي. وبرازخ الروح ما هي إلا عصارة أو سيّالة مغناطيسيّة قد أعدّت منذ الأزل غذاء لشجرة السماء. إن الملائكة والسموات الستّ هي من صنف برازخ الروح. لقد أريد لنا بهذه النفخة الرحمانيّة والسيّالة المغناطيسيّة أن

---

[٢٩]: تتساقط الذنوب وتتناثر كما تتساقط أوراق الأشجار وتتناثر.

[٣٠]: تطلق حبل الذنوب وعقالها.

[٣١]: ينبوع ماء حار.

[٣٢]: [النور : ٣٧].

[٣٣]: ينصب ويتعب.

[٣٤]: [طه : ١٣٢].

[٣٥]: من كلام الإمام علي عليه السلام.

نكون مقدّسين، بيد أننا صنعنا بأيدينا من أنفسنا مدنّسين. إن المقدّسات لا تستحقّ الاستهتار، ويجدر بالإنسان أن يضع في كل عمله نسمة من روحه.

إن الإمام عليًّا صلوات الله عليه كان في تأمّلاته وتهجّداته ومناجاته مع الله يترنّم بهذه الأبيات: -

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلى     تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِي وَخَلاَّقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي     إِلَيْكَ لَدَىٰ ٱلإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلَهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي     فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلَهِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ نَفْسِيَ سُؤْلَهَا     فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ ٱلنَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلَهِي تَرَىٰ حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي     وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلَهِي فَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي وَلاَ تُزِغْ     فُؤَادِي فَلِي فِي سَيْبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
إِلَهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي     فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَرْجُو وَمَنْ ذَا أُشَفِّعُ
إِلَهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي     أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِلَهِي فَآنِسْنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي     إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوىً وَمَضْجَعُ
إِلَهِي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ     فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لاَ يَتَقَطَّعُ
إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لاَ     بَنُونَ وَلاَ مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
إِلَهِي لَئِنْ لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعاً     وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ     فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَىٰ يَتَمَتَّعُ
إِلَهِي لَئِنْ فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ ٱلتُّقَى     فَهَا أَنَا إِثْرَ الْعَفْوِ أَقْفُو وَأَتْبَعُ
إِلَهِي لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلاً فَطَالَمَا     رَجَوْتُكَ حَتَّىٰ قِيلَ مَا هُوَ يَجْزَعُ
إِلَهِي ذُنُوبِي بَذَّتِ ٱلطَّوْدَ وَٱعْتَلَتْ     وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَرْفَعُ
إِلَهِي يُنَجِّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتِي     وَذِكْرُ الْخَطَايَا الْعَيْنَ مِنِّي يُدَمِّعُ
إِلَهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَٱمْحُ حَوْبَتِي     فَإِنِّي مُقِرٌّ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
إِلَهِي أَنِلْنِي مِنْكَ رَوْحاً وَرَاحَةً     فَلَسْتُ سِوَىٰ أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إِلَـهِي لَـئِنْ أَقْصَـيْتَنِي أَوْ أَهَنْتَـنِي فَمَا حِيلَتِي يَـا رَبِّ أَمْ كَيْـفَ أَصْـنَعُ
إِلَهِي حَلِيفُ الْحُـبِّ فِي ٱللَّيْـلِ سَـاهِرٌ يُنَـاجِي وَيَـدْعُو وَالْمُغَفَّـلُ يَهْجَـعُ
إِلَـهِي وَهٰـذَا الْخَلْـقُ مَـا بَـيْنَ نَـائِمٍ وَمُنْتَبِـهٍ فِي لَيْلَـهِ يَتَضَـرَّعُ
وكُلُّهُـمْ يَرْجُـو نَوَالَـكَ رَاجِيـاً لِرَحْمَتِـكَ الْعُظْـمَىٰ وَفِي الْخُـلْدِ يَطْمَـعُ
إِلَـهِي يُمَنِّيـنِي رَجَـائِي سَـلاَمَةً وَقُـبْحُ خَطِيئَـاتِي عَـلَيَّ يُشَـنِّعُ
إِلَـهِي فَـإِنْ تَعْفُـو فَعَفْـوُكَ مُنْقِـذِي وَإِلاَّ فَبِالذَّنْـبِ الْمُـدَمِّرِ أُصْرَعُ
إِلَـهِي بِحَـقِّ الْهَاشِـمِيِّ مُحَمَّـدٍ وَحُرْمَـةِ أَطْهَـارٍ هُـمُ لَـكَ خُضَّـعُ
إِلَـهِي بِحَـقِّ الْمُصْـطَفَىٰ وَٱبْـنِ عَمِّـهِ وَحُرْمَـةِ أَبْـرَارٍ هُـمُ لَـكَ خُشَّـعُ
إِلَـهِي فَأَنْشِـرْنِي عَلَىٰ دِيـنِ أَحْمَـدٍ مُنِيبـاً تَقِيّـاً قَانِتـاً لَـكَ أَخْضَـعُ
وَلاَ تَحْـرِمْنِي يَـا إِلَـهِي وَسَـيِّدِي شَـفَاعَتَهُ الْكُـبْرَىٰ فَـذَاكَ الْمُشَـفَّعُ
وَصَـلِّ عَلَـيْهِمْ مَـا دَعَاكَ مُوَحِّـدٌ وَنَاجَـاكَ أَخْيَـارٌ بِبَابِـكَ رُكَّـعُ

إنّ الإنسان شُعلة من الطّاقة، إنْ تُركت لحالها وتبدّدت كانت بهيميّة وظلامًا، وإنْ جُمعت أصبحت عمودًا من نور ونفسًا مطمئنّة وسكينة وسلامًا. تمامًا كشُعلة من النّار، إنْ تُركت لحالها كانت نِقمة، وإنْ ضُبطت أصبحت نِعمة.

إن الشريعة الإسلاميّة قد أتاحت للمسلمين فرصة للعمل من أجل الدنيا لاكتساب الرزق والزواج وإنجاب الأولاد وتربيتهم وغيرها من الاحتياجات الماديّة الضروريّة. وفي نفس الوقت أتاحت للمسلمين وقتا كافيًا للتأمّلات والصلاة والمناجاة مع الله.

في حين أن هذه الأشياء غير ميسّرة في الأديان الأخرى. فمثلًا بالنسبة للمسيحيّين فالناس على قسمين: قسم متفرّغ للرهبنة والعيش والعبادة في الأديرة

والكنائس وقسم آخر يمارسون الحياة الماديّة الطليقة، من دون أن يعطوا أنفسهم وقتًا للتأمّلات والصلاة في حياتهم اليوميّة. اليوميّة[٣٦].

(٣٦): من كتابي وحدة الإرادة في الوجود.

# وحدة الوجود

كان لأفلاطون اتّجاه صوفيّ عميق تلقّاه من تعاليم الأورفيّه والفيثاغوريّة، والتي تستمدّ جذورها من نبيّ الله إدريس ﷺ في الماضي السحيق، فيما قبل طوفان نوح.

ويبدو أن تعاليم الأورفيه والفيثاغورية لم تكن المصدر الوحيد لهذه النزعة عند أفلاطون، بل ترجع إلى طفولة أفلاطون، التي امتازت بالتديّن والإيمان بالأسرار العميقة التي ترمز إلى الوحي السماويّ، ولهذا فإنه اتّجه إلى البحث عن المثل العليا، أي عن عالم أسمى فيما وراء عالم الحسّ، عالم تطمح إليه النفس في ذروة صفائها وطهارتها، فكان أن كشفت له التجربة الروحيّة عن آفاق عالم المثل العليا.

وقد أحسّ أفلاطون بصعوبة التفسير اللفظي عن هذا الوجود السامي المتعالي، الذي يجاوز نطاق التجربة الحسّيّة، ولهذا فقد لجأ إلى الأسطورة، وإلى الصور الخياليّة، لكي يفسّر بها حقيقة هذا العالم العقليّ وأبعاده المثاليّة.

وكان أفلاطون يشعر في أعماق نفسه بأن العبارات الشاعريّة، التي كان يسوقها لإيضاح حقيقة عالم المثل العليا، لن تحقّق هذا الغرض على الوجه الأكمل. فقد كان يشعر بصعوبة التعبير عن مضمون مذهبه، لخصوبة الفكرة التي انتهت إليها تجربته الروحيّة، ولأن اللغة التي قد وضعت للإشارة إلى الموجودات الحسّيّة لايمكن أن تصبح أداة للتعبير عن عالم مثالي مغاير لعالمنا الحسّيّ في وجوده وطبيعته.

إن والدي السيد حسين العالم قدّس سرّه تكلّم عن وحدة الوجود، وقال بأنه هو عالم التوحيد بعينه، الذي هو كلّه نور وأنس وسرور، وأن الظلمة والوحشة والعذاب لا تجد إلى هذا العالم سبيلًا.

فما هو عالم التوحيد وعالم وحدة الوجود الذي يتكلّم عنه السيد بهذه الثقة والاطمئنان ؟ فلو كنت شفّافًا ونورانيًا، لقرأت صفحات كتابك الذي تحمله في فطرتك، ولشاهدت بأنه عالم القدس وفي حضرة الأنس، وهو العالم الذي نقرّ بألسنتنا على الدوام بانتمائنا إليه بقولنا: "إنا لله وإنا إليه راجعون". ولكن الغالبيّة الضالّة، على الرغم من قول هذا الذكر العظيم باللسان، إلّا أنهم لا يقرّون بهذه الحقيقة قلبيًّا ووجدانيًّا ووجوديًّا. أليسوا هم أتيه من قوم موسى ! إذ أرادوا الوطن، ولكنهم انجرفوا إلى التيه انجرافًا !!! فلذلك فهم يسخرون ويستهزؤون بوحدة الوجود الذي ننتمي إليه، ونحن إليه راجعون، إن طوعًا أو كرهًا !!! إن طوعًا فنعيم مقيم، وإن كرهًا فعذاب عظيم.

لماذا لا يقرّون ؟ لتعصّبهم الطاغي عليهم، ولوجود الحساسية لديهم ضدّ بعض الأسماء، فهم أهل الأسماء لا أهل المعاني. ومالهم به من علم ! إن هي إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم !!! وإن رجعوا إليه كارهين فعذاب عظيم، وستبدي لهم الأيام بأن جنايتهم على أنفسهم لا على غيرهم، فعلى أهلها جنت براقش !!!

هذا هو وحدة الوجود الذي يسخر منه كثير من أنصاف العلماء، ويسخرون من محيي الدين بن العربي لتأكيده المطلق على هذه الحقيقة، والسخرية لا تنبع إلّا عن جهل بما يقع في الوجود من الحقائق التي يراها رجال الله وأصحاب البصيرة النافذة. يقول الله تعالى في سورة الصافات[٣٧]: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

---

[٣٧]: [الصافات : ١٢]

وأتعجّب كيف يكون هذا التناقض فيهم ؟ يردّدون الحقائق القرآنية بلسانهم ويقولون (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ثم أنهم يستنكفون عن قول (إنا للوجود وإنا إليه راجعون) وعن قبوله. لا أدري هل هم يعيشون في الألفاظ أم في المعاني ؟ بل قل لي إذن ماذا يفهمون من قوله تعالى في سورة العنكبوت[٣٨]: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ؟ فهل هم ينشدون ويلتمسون الآيات البيّنات في الألفاظ والكتب ؟ ألا يدرون أن الآيات البيّنات هي المعاني العظيمة في صدور الذين أوتوا العلم ؟ وهل يقرّون بظلمهم إذ يجحدونها ؟

يقول والدي السيد حسين العالم قدّس سرّه بأن أرباب الهمم من البشر لا يقرّ لهم قرار، حتى يصلوا بأنفسهم إلى وحدة الوجود، وكلّ وجودهم في سعي حثيث للوصول إليها في همّة وإصرار. ويضيف بأن عالم وحدة الوجود عالم، تتجرّد فيه كلّ الأشياء عن قوقعة النفس، وتصبح الله الأحد، فهناك لا (أنا).

وإذا أردت أن تفهم ما يعنيه السيد، فاخرج من قوقعة النفس، تنحلّ لك كلّ المشاكل. فإنك أسير هذه القوقعة ويا للأسف ! فافطم النفس وإلّا شبّت كالطفل على حبّ الرضاع، وعلى حبّ القوقعات !!!

كما قال الطغرائي:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على    حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فكلّ سالك يتمنّى أن يصل إلى وحدة الوجود، لأن الوجود هو موطنه الذي افتقده، فهو ينشده ويطلبه بكل قوّة، وفي همّة وإصرار. فهم يعشقون أن يفنوا في عالم التوحيد فناءً محضًا، يذوب فيه (الأنا) بكلّ صوره التي لا تعدّ ولا تحصى، وهذا هو حقيقة

---

[٣٨]: [العنكبوت : ٤٩].

التوحيد، وغيره إما شرك جليّ أو شرك خفيّ، الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، كما يقول الرسول الأعظم ﷺ: «الشرك أخفى في أمّتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء"[٣٩].

إن البشر كانوا في بدايتهم في وحدة الوجود، وهو عالم التوحيد الذي كلّه نور وأنس وسرور، وأن الظلمة والوحشة والعذاب لا تجد إلى هذا العالم سبيلًا، وأن أرباب الهمم من البشر لا يقرّ لهم قرار، حتى يصلوا بأنفسهم إلى وحدة الوجود، وكلّ وجودهم في سعي حثيث للوصول إليها في همّة وإصرار.

إن الأكثريّة منّا لا يدركون ذلك بعقولهم، وقد نسوا حضرة القدس والأنس والسرور، ولو أن ألف مخبر صادق أخبرهم بأنهم كانوا، في حين من الأحيان، في عالم القدس وفي حضرة الأنس، لما آمنت بذلك عقولهم.

أمّا هناك طائفة من الناس شملتهم نظر العناية، ولا زالت تشملهم، فآثار الأنس بالله لا زالت باقية فيهم، رغم أنهم بعقلهم لا يعلمون بأنهم كانوا في عالم آخر، في حين من الأحيان، ولكن إذا جاء مخبر صادق القول وتكلّم، فإن أثر نور صدقه يتناغم مع الأنس الذي لا زال باقيًا في قلب المستمع، فيقرّ بذلك فورًا ويؤمن. وإجمالًا متى كان هناك أثر من الأنس في القلب باقيًا، فهو بذر الإيمان، فيؤمن صاحبه فورًا، كما حصل لبعض الناس، في سرداب أفلاطون، الذين أصغوا إلى دعوة السيد حسن المسقطي، فآمنوا فورًا بعالم التوحيد الذي بشّر به في كلامه الشيّق البليغ.

[٣٩]: من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين.

وأمّا الذي لم يبق أثر من الأنس عنده، فقلبه مغلق كلّيًا، فلا يؤمن صاحبه بتاتًا، كما قال الله تعالى في سورة البقرة[٤٠]: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

ولكن أكثريّة الناس مع الأسف يريدون معالجة الأمور بعقولهم القاصرة فلا يفهمون ولا يدركون ما يقوله العرفاء، ويصبحون أعداء ما جهلوا. وأنّى أن تدرك العرفان العقول القاصرة والأذهان المظلمة ! وهذا هو السبب في نصب العداوة للعرفان، لأن الأكثريّة أعداء ما يجهلون، وهم لا يعلمون الشيء حقيقة البتّة. وقليل من الناس من يبحث عن العلم وتكون الحكمة هي ضالّتهم، وهؤلاء هم العلماء حقّا، والذين هداهم الله، وهم حقّا أولوا الألباب.

يقول الله تعالى[٤١]: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾.

ويقول قدّس سرّه أن هناك طائفة من الناس شملتهم نظر العناية، ولا زالت تشملهم، فآثار الأنس بالله لا زالت باقية فيهم، رغم أنهم بعقلهم لا يعلمون بأنهم كانوا في عالم آخر، في حين من الأحيان، وهو عالم القدس وفي حضرة الأنس.

وإذا كان هناك مثل هذه الطائفة من الناس، كما يقوله السيد حسين، وهم بالتحقيق هناك، وبأعداد لا يستهان بهم، فأنا أخاطب هذه الطائفة. فاعلم يا عزيزي بأن عالم القدس وفي حضرة الأنس، الذي كنت فيه، لا يمكن الوصول إليه بواسطة العقل. فإن العقل الماديّ الذي تتمتّع به، هو لدفع الضرر وجلب المنفعة، في هذه الدنيا،

---

[٤٠]: [البقرة : ٧].

[٤١]: [الزمر : ١٨].

وليس معيارًا وميزانًا ثابتًا تكتشف به عوالم الغيب. فإن كشف عوالم الغيب له معيار وميزان آخر في وجودك وفي أعماق نفسك، ألا هو حقيقة الوجدان النورانية[٤٢].

ويقول قدّس سرّه: من كتاب بحر المعارف ما معناه إجمالًا، أن البشر كانوا في بدايتهم في وحدة الوجود[٤٣]، وهو عالم التوحيد[٤٤] الذي كلّه نور وأنس وسرور، وأن الظلمة والوحشة والعذاب لا تجد إلى هذا العالم سبيلًا، وأن أرباب الهمم من البشر لا يقرّ لهم قرار، حتى يصلوا بأنفسهم إلى وحدة الوجود، وكلّ وجودهم في سعي حثيث للوصول إليها في همّة وإصرار، ولسان حالهم يقول:

إمــا اللقــاء ووصــله في رأسي      إما فداء الرأس في سكري وأنسي

وعالم وحدة الوجود عالم، تتجرّد فيه كلّ الأشياء عن قوقعة النفس، وتصبح الله الأحد، فهناك لا (أنا)[٤٥][٤٦]

---

[٤٢]: قدوة الفقهاء والعارفين صفحة ٣٨٣.

[٤٣]: هذا هو وحدة الوجود الذي يسخر منه كثير من أنصاف العلماء، ويسخرون من محيي الدين بن العربي لتأكيده المطلق على هذه الحقيقة، والسخريّة لا تنبع إلّا عن جهل بما يقع في الوجود من الحقائق التي يراها رجال الله وأصحاب البصيرة النافذة. يقول الله تعالى في سورة الصافات الآية ١٢: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

[٤٤]: هو عالم القدس وفي حضرة الأنس، وهو العالم الذي نقرّ بألسنتنا على الدوام بانتمائنا إليه بقولنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[البقرة : ١٥٦]، ولكن الغالبيّة العظمى منّا لا تقرّ بهذه الحقيقة قلبيًّا ووجوديًّا، فلذلك فهم يسخرون ويستهزؤون بوحدة الوجود الذي ننتمي إليه، ونحن إليه راجعون، إن طوعًا أو كرهًا !!! إن طوعًا فنعيم مقيم، وإن كرهًا فعذاب عظيم.

[٤٥]: بل فناء محض في عالم التوحيد يذوب فيه (الأنا) بكل صوره التي لا تعدّ ولا تحصى، وهذا هو حقيقة التوحيد، وغيره إما شرك جليّ أو شرك خفيّ، الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، كما يقول الرسول الأعظم ﷺ: «الشرك أخفى في أمّتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء».

ويقول قدّس سرّه: والتي توجب حجب الإنسان وبعده وظلمته وجهالته، وتسبّب حرمانه من عوالم الغيب، هو روحه الذي انحبس تحت ركام من الحجب الروحانيّة والجسمانيّة، التي حصلت له بعد العبور على الملكوت والملك والتعلّق بالقالب، وترسّخت فيه بسبب الطبع والعادة التي تدير في فلكها باستمرار حركاته وأفعاله وأقواله ونظراته وخواطره، التي تنبع من ظاهره وباطنه، لا تكاد تتوقّف بمقتضى قوّة الطبع والعادة. ولو أن ألف مخبر صادق أخبره بأنه كان، في حين من الأحيان، في عالم القدس وفي حضرة الأنس، لما آمن بذلك عقله[٤٧].

[٤٦]: من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين صفحة ٣٩٧-٣٩٨.

[٤٧]: من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين صفحة ٣٩٩-٤٠٠.

# نبذة عن أفلاطون

أفلاطون : (٤٢٧-٣٤٧ قبل الميلاد) هو ارستوكليس بن ارستون، فيلسوف يوناني كلاسيكي، كتب عددًا من الحوارات الفلسفيّة، ويعتبر مؤسّسًا لأكاديميّة أثينا، التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي.

معلّمه سقراط وتلميذه أرسطو.

يقول العلّامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: "وأفلاطون هو صاحب حكمة الإشراق، وكان رئيسًا لسلسلة الرواقيّين، وكان يحصل له انكشاف للحقائق والمعارف الإلهية بواسطة الرياضات والمجاهدات الباطنيّة عن طريق تصفية الباطن".

وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم. كان تلميذًا لسقراط، وتأثّر بأفكاره كما تأثّر بإعدامه الظالم.

نبوغ أفلاطون، وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاورة)، التي تتناول مواضيع فلسفيّة مختلفة: المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيّات، الميتافيزقياء، الأخلاق والسياسة.

يغلب على مؤلّفات أفلاطون طابع المحاورة، وهو أسلوب كان شائعًا في العصر الذي ازداد فيه نشاط السفسطائيين، وفي عصر سقراط بالذات. يعدّ أفلاطون أول فيلسوف يوناني وصلتنا جميع مؤلّفاته، ومن مؤلفاته:

- أفلاطون حيث يتصوّر إلهًا واحدًا.

- محاكمة سقراط.

- جمهوريّة أفلاطون.

ومحاوراته الشهيرة مع بارمنيدس – بروتاجوراس – فايدروس – منكسينوس – مينون – جورجياس – تياتيتوس – فيدون أو في خلود النفس – كراتيليوس في فلسفة اللغة.

ولد وسمّي "ارستوكليس بن ارستون" في أثينا أو أجانيطس، لا يعرف تاريخ ولادته بالتحديد، ولكن من المرجّح أن يكون قد ولد عام ٤٢٧ ق.م.

عرف بأفلاطون، لوساعة جبهته وعظم البسطة والجسم، وأفلاطون تعني في اللغة عريض المنكبين.

ينحدر أفلاطون من عائلة أرستقراطية عريقة كان لها دور في المجتمع اليوناني.

طبقًا لما ذكره المؤرّخ ديوجين ليوشيس (٢٠٠م) فإن والد أفلاطون هو ارستون، ويرجع نسبه من أبيه إلى أحد ملوك أثينا يدعى كودروس، وينتمي لكوديرين، ووالدته بينكتوني أو فريكتونا، وهي من سلالة القانوني والشاعر اليوناني الأرستقراطي سولون، وتنتمي إلى ملوك ميسينيا.

كلاهما شخصيات بارزة من الطغاة الثلاثين أوالأوليغاركيون، الذين جاءوا بعد انهيار أثينا عند الانتهاء من الحرب البيلوبونيسية (٤٠٣-٤٠٤ ق.م).

أريستون وبينكتوني والدًا أفلاطون كان لديهم ثلاثة أبناء آخرين غير أفلاطون، الأكبر هو أدمينتوس، والآخر قولاكن، والأخيرة بوتون أمّ الفيلسوف سيوسيبس، الذي تزعّم أكاديمية أفلاطون بعد وفاته.

وفقًا لما ذكره أفلاطون في كتاب الجمهورية أن أدمينتوس وقولاكن يكبرونه سنًا.

وتولّى تربيته زوج أمّه فورلامس من سولون. عاش أفلاطون في أفضل فترات أثينا، حيث كانت الثقافة اليونانية في أوج ازدهارها في عهد بيركليس - عهد العلم السقراطي وفنّ فدياس.

لم يشترك أفلاطون بشكل مباشر في الحياة السياسية، ولكنه حاول أن يطبّق أفكاره بأيّ شكل، وكان يدعو إلى تغيير كلّ النظام السياسي، وإلى "جعل الفلاسفة ملوكًا".

كان مقتنعًا تمامًا بأن السياسة على يد الفيلسوف ستحوّل العالم تمامًا في اتّجاه فكرة الخير، ولكن ذلك لم يحدث، فلم يصنع سيمون و بيركليس و تيموستوكليس و ميلسياديس من الأثينيّين بشرًا أحسن، فقد كان دورهم فقط يعتمد على توسيع حدود أثينا، وقد عرفوا بأنفسهم الشرّ والظلم الكامنين عند الأثينيين، وهذا يعني بأنهم لم ينجحوا في تربيتهم بروح الخير والعدل، أو أنهم لم يريدوا ذلك.

كتب أفلاطون في "جورجياس": «أعتقد أنني مع بعض الأثينيين – حتى لا أقول بأني وحدي – نقوم بعمل سياسيّ حقيقيّ».

سافر أفلاطون في أثناء تجواله إلى سيراكيوز، وعقد صداقة هناك مع صهر الحاكم ديونسيوس الكبير، والذي كان يدعى – أي الصهر- ديون، ولكن الحاكم خاف من الإثارة السياسية، فطرد أفلاطون، وعندما توفّي ديونيسيوس في عام ٣٦٧ ق.م، أرسل ديون لأفلاطون لكي يأتي ويقوم بتوجيه ديونيسيوس الصغير – الحاكم الجديد.

استمرّ تأثير أفلاطون على الحاكم لفترة قصيرة، وأغلب الظنّ أنه قد وجّهه للدراسة الهندسية – باعتبارها علمًا أساسيًّا للحاكم المثالي.

وبعد فترة قصيرة اتّهم ديون بالتطلّع للحكم وأطيح به، وعندها عاد أفلاطون لأثينا.

وفي عام ٣٦١ ق.م، سافر أفلاطون إلى صقلية للمرة الثالثة، في محاولة منه لعقد صلح بين ديونيسيوس وديون، ولكن محاولاته باءت بالفشل، ووجد نفسه في خضمّ حرب أهليّة نجا منها بصعوبة، وهكذا انتهى مشواره السياسيّ بالفشل وخيبة الأمل.

فيما عدا هذا النشاط السياسي المحدود، قضى أفلاطون الأربعين عامًا الأخيرة من حياته في أثينا منقطعاً للعلم والتدريس. لم يتزوّج، عاش في مدرسته محاطًا بتلاميذه، وكان يعيش حياة مرفّهة، وقد هاجمه ديوجنيس الكلبي لكثرة التحف الموجودة في منزله.

كان يقوم بتطوير أفكاره باستمرار، وقد قام قبل وفاته بوقت قصير بإجراء بعض التعديلات في الجزء الأول من مؤلّفه "الجمهورية"، والذي كان قد كتبه قبل بضع سنوات.

تربّى أفلاطون في عائلة مثقفة، اهتمّت بتربيته بدنيًّا وفكريًّا، ذكر لوكيوس أبوليوس أن الفيلسوف سيوسيبس أشاد بذكاء وسرعة تفكير أفلاطون، حيث أن أفلاطون تلقّى منذ صغره التعليم على يد مدرّس خاص، وهو الذي أطلق عليه اسم "أفلاطون"، إذ أن اسمه الحقيقي كان أريستوكليس.

أحرز العديد من الانتصارات في الدورات الأولمبية، حيث ذكر ديئوتشيس أن أفلاطون كان يصارع في دورة ألعاب اسثميان. تعلّم الشعر والموسيقى والرسم والجمباز والنحو، وأظهر ميلًا شديدًا إلى العلم الرياضي، ثم اتّجه إلى دراسة الفلسفة على يد أحد أتباع هيرقليطس. وكان فنّانًا دائمًا، مع أن إبداعاته ظهرت في مجال آخر من مجالات المعرفة.

و في سنّ العشرين تعرّف على سقراط وأعجب به، ولازمه لمدّة ثماني سنوات، وكان لهذه السنوات تأثير حاسم على حياته، حيث صقلت معارفه بالذات في علمي المنطق والأخلاق، عدا ذلك كان أفلاطون يتعرّف على كلّ الاتّجاهات السائدة في عصره، مثل أفكار أرستيب وأنتيستينس وإقليدس.

كان إعدام سقراط وتجرّعه السمّ من أهمّ الأسباب التي دفعت به إلى ميغاري، حيث زار إقليدس، ومكث إلى جواره ثلاث سنوات، ثم اتّجه إلى مصر، وشاهد عظمة آثارها، واجتمع بكهنة عين شمس، فأعجب بعلومهم وخاصّة الفلك.

ثم اتّجه من مصر إلى قورينا، فالتقى بعالمها الرياضيّ المشهور تيودورس، واستمرّت رحلات أفلاطون اثني عشر عامًا، عاد بعدها إنسانًا ناضجًا تمامًا، ثم عاد إلى أثينا عندما نشبت الحرب بين أثينا واسبرطة، واستقرّ هناك حيث أسّس مدرسة في أكاديموس، وانقطع للكتابة والتعليم.

يغلب على مؤلفات أفلاطون طابع المحاورة، وهو أسلوب كان شائعًا في العصر الذي ازداد فيه نشاط السفسطائيين وسقراط. يعدّ أفلاطون أول فيلسوف يوناني وصلتنا جميع مؤلّفاته، وقد نشرها كلها تراسيلوس، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأن كل ما وصل إلينا من كتب والتي تحمل اسم أفلاطون تصحّ نسبتها إليه، فقد أثبت النقد التاريخي أن هناك محاورات منقولة نسبت إلى أفلاطون، وقد ثبت أنها ليست له، وعلى هذا فإننا نكتفي هنا بالإشارة إلى المؤلّفات التي تعرّف مؤرّخو الفلسفة على صحّة نسبتها إليه.

أما من حيث تصنيف هذه المؤلّفات، فقد تمكّن العلماء، بعد دراسة أسلوب المحاورات وموسوعاتها، من ترتيبها على هيئة تصنيف زمنيّ تطوّريّ حسب أطوار حياة المؤلف.

فهناك مؤلّفات ترجع إلى عهد الشباب (المحاورات المبكّرة)، وأخرى تمّ تأليفها بعد إنشاء الأكاديميّة (محاورات المرحلة المتوسّطة)، أما المجموعة الثالثة فهي من إنتاج أفلاطون في عهد الشيخوخة (محاورات المرحلة الأخيرة).

أغلب عناوين مؤلّفاته مأخوذة من اسم أحد المحدّثين في المحاورة. لم يضع أفلاطون مؤلّفًا خاصًّا حول نظريّة الفكرة التي تشكّل أساسًا لمفاهيمه، ولكن مؤلّفاته كانت جميعها توضح هذه النظرية.

ظهرت أفكار أسطوريّة تقول بأن أفلاطون كتب أيضًا مؤلّفات غامضة للروحانيّين. من المؤكّد أن محاضراته في الأكاديمية كانت تختلف عن مؤلّفاته (بحسب قول أرسطو).

يعتبر الكثيرون مؤلّفات أفلاطون متفرّدة في نوعها، لأنها عبارة عن حوار، وهذا ناتج عن تأثير أسلوب سقراط عليه، وأيضًا ناتج عن الرغبة في تقريب الكتابة من الكلام، والذي كان أفلاطون يعتبره أرقى من الكتابة (يتّضح ذلك في مؤلّفه "فايدروس").

ولأن أفلاطون لم يكن مفكّراً فقط، بل كان كاتبًا ممتازًا أيضًا، ولمحاوراته قيمة فنية، إذ كان يتميّز بقدرة كبيرة على جذب القارئ، وتشخيص الناس والمواقف ببراعة.

أيضاً من مميّزات مؤلّفات أفلاطون أن المتحدّثين في محاوراته هم العلماء والساسة والمثقفون المعاصرون له، وهو لم يقل كلمة واحدة في محاوراته (ومن هنا توجد صعوبة في تحديد آرائه).

تتميّز محاورات أفلاطون بحيويّة الكلام الدارج، وهي بعيدة عن أسلوب كتابة الكتب العلميّة الجافّة، ومن الصعب فيها التمييز بين المقولات الجادّة والسخرية والمزاح.

ترجمت معظم محاورات أفلاطون إلى العربية. فعن الإنجليزية نقل فؤاد زكريا محاورة الجمهورية (أو السياسة). وعن اليونانية القديمة، نقل عزت قرني، مع مقدّمات وهوامش وملاحظات تحليلية، عدّة محاورات هي: فيدون، مينون، بروتاغوراس، أقريطون، أوطيفرون، الدفاع، السفسطائي، وثيثيوس..

لا تشكّل محاورات أفلاطون - بالرغم من الاعتقاد السائد - حلقات متسلسلة، إذ أن كلاً منها تشكّل عملًا متكاملًا - ما عدا استثناءات قليلة.

هناك قضايا ناقشها أفلاطون في عدّة محاورات، وكان كل مرّة يأتي بحلّ جديد لها، ولهذا كان من المهمّ تحديد تسلسلها، ولهذا استطاع مؤرّخو القرن التاسع عشر عمل تسلسل لها في شكل ٣ مجموعات:

- محاورات المرحلة المبكّرة (السقراطية)
- محاورات المرحلة الوسطى (الإنشائية)
- محاورات المرحلة المتأخّرة (الديالكتيكية)

أهمّ أعماله هي:

- الدفاع عن سقراط
- لاخيس (حوار حول الشجاعة)
- خارمنيدس (حوار حول المثابرة)
- أيتيفرون (حوار حول التديّن)

- بروتاجوراس (حوار حول الفضيلة)
- جورجياس (حوار في نقد الأنانية)
- كراتيل (حوار حول اللغة والهيراقليطية)
- مينون (حوار حول إمكانية تعلّم الفضيلة)
- فايدروس (توضيح العلاقة بين الروح والفكرة)
- تياتيت (حوار حول المعرفة)
- بارمنيدس (توشيح المنهج الجدلي)
- السفسطائي (حوار حول الوجود)
- فيليب (حوار حول الخير والعلاقة بين اللذّة والحكمة)
- تيمايوس (حوار حول فلسفة الطبيعة)
- القانون (يعرض فيه إضافات لنظريته حول الدولة المثالية)
- فيدون (حوار حول خلود الروح): يدور هذا الحوار في الحجرة التي كان سقراط ينتظر الموت فيها. لأن الحضور، وانطلاقًا مما كان يدّعيه بأن الفيلسوف الحقيقي لا يخشى الموت، يدعو المعلِّم لكي يبرهن على خلود النفس. وهنا يجري بسط أربعة حجج أساسيّة:

الحجّة الأولى: التي تستند إلى وجود التضادّ، تقول إنه انطلاقًا من الصيرورة المستمرّة للأشياء، ليس في وسعنا فهم شيء ما (النوم مثلًا) دون الاستناد إلى ضدّه

(اليقظة مثلًا). ولأن الموت يبيِّن الانتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة، فإنه من المنطقيّ الاعتقاد بأن "الولادة من جديد" تعني الانتقال منه إلى الحياة.

أما الحجّة الثانية: فهي تستند إلى تلك الأفكار التي ندعوها بـالذكريات. لأن ما نواجهه في العالم الحسِّيّ إنما هو أشياء جميلة، لكنها ليست هي الجمال. لذلك ترانا نحاول تلّمس هذا الأخير من خلال تلك الأشياء، التي باستحضارها، تعيدنا حتمًا إلى لحظات من الحياة فوق الأرضية كانت روحنا فيها على تماسّ مباشر مع الطهارة.

وتقول الحجّة الثالثة: إنه يمكن شَمْلُ كلِّ ما في الوجود ضمن مقولتين اثنتين: المقولة الأولى تضمّ كلّ ما هو مركّب (وبالتالي ممكن التفكك) أي المادة، والمقولة الأخرى التي تشمل ما هو بسيط (أي لا يمكن تفكيكه)، كجزء مما هو مدرَك، أي الروح.

وعندما يلاحظ كيبيوس بأن سقراط، الذي برهن على إمكانية انتقال الروح من جسم إلى آخر، لم يبرهن على خلود هذه الأخيرة في حدِّ ذاتها، يجيبه سقراط من خلال عرض مسهب، يتطرّق فيه إلى نظرية المُثُل، حيث يبيّن في نهايته أن الروح لا تتوافق مع الموت، لأنها من تلك العناصر التي ليس بوسعها تغيير طبيعتها.

وينتهي الحوار بعرض طويل لمفهومي العالم العلوي والمصير الذي يمكن أن تواجهه النفس: حيث ترتفع النفوس الأكمل نحو عالم علوي، بينما ترسب النفوس المذنبة في الأعماق السفلى.

وتكون كلمات سقراط الأخيرة: إنه مدين في علمه لأسكليبيوس – (إله الطب والشفاء) – من أجل تذكيرنا رمزيًا بأنه يجب علينا شكر الإله الذي حرّرنا من مرض الموت.

• المأدبة (حول الحبّ): يبيّن هذا الحوار، الذي جرى تأليفه في العام ٣٨٤ ق م، كيف أن ولوج الحقيقة يمكن أن يتمّ بطرق أخرى غير العقل، وليس فقط عن طريقه: لأن هناك أيضًا وظيفة للـقلب، تسمح بالانتقال من مفهوم الجمال الحسّي إلى مفهوم الجمال الكامل للمثال الجليّ.

والقصّة هي قصّة الشاعر أغاثون الذي أقام في منزله مأدبة للاحتفال بنجاح أول عمل مسرحيّ له. وفي هذه المأدبة طُلِبَ من كلِّ المدعوّين، ومن بينهم سقراط، أن يلقوا كلمة تمجِّد إله الحبّ.

ويقوم سقراط بتقريظ الجمال، بمحاولة لتحديد طبيعة الحبّ، متجنّبًا الوقوع في شرك الجدال. ورغبةً في الخلود وتطلّعًا إلى الجمال في ذاته، يقودنا الحبُّ الأرضيّ إلى الحبِّ السماويّ. وهذا هو أحد أجمل الحوارات التي لم تتدنّ خلال تاريخ الفلسفة كلِّه، حيث نجد صداه، مثلًا في العقيدة المسيحية للقدّيس أوغسطين، الذي كان يعتقد بأن "كلّ فعل محبّة هو في النهاية حبّ للإله".

• الجمهورية: يشكّل هذا الحوار، الذي جمع في عشر كتيّبات، والتي تمّت خلال عدة سنوات (ما بين أعوام ٣٨٩ و ٣٦٩ ق م)، العمل الرئيسيّ لأفلاطون المتعلِّق بالفلسفة السياسية.

يبدأ سقراط بمحاولة تعريف العدالة استنادًا إلى ما قاله عنها سيمونيدِس، أي "قول الحقيقة وإعطاء كلِّ شخص حقّه". هذا التعريف مشكوك في ملاءمته، لأنه يجعلنا نلحق الضرر بأعدائنا، مما يعني جعلهم بالتالي أسوأ وأظلم. كذلك أيضًا يستبعد تعريف السفسطائي ثراسيماخوس الذي قال بأن "العدل" هو ما ينفع الأقوى.

ونصل مع أفلاطون إلى التمعُّن في مفهوم الدولة العادلة – تلك التي تعني "الإنسان مكبّرًا" – تلك الدولة القائمة على التناغم، والمستندة إلى فصل صارم بين طبقاتها الأساسيّة الثلاث التي هي: طبقة الفلاسفة أو القادة، وطبقة الجنود، وطبقة الصنّاع، والتي هي على صورة التوازن القائم بين المكوّنات الثلاث للنفس الفردية. ونلاحظ هنا، من خلال العرض، أن الطبقة الدنيا (أو طبقة الصنّاع) لا تخضع لمتطلّبات الملكية الجماعية، لأنها لن تفهمها انطلاقًا من مستوى إدراكها.

ويفترض سقراط أنه على رأس هذه الدولة يجب وضع أفضل البشر. من هنا تأتي ضرورة تأهيلهم الطويل للوصول إلى الفهم الفلسفي للخير الذي يعكس نور الحقيقة وينير النفس، كما تنير الشمس أشياء عالمنا.

ذلك لأن الظلم يشوِّه، بشكل أو بآخر، كافة الأشكال الأخرى من الدول، التي يعدِّدها أفلاطون كما يلي: الدولة التيموقراطية (التي يسود فيها الظلم والعنف)، الدولة الأوليغارخية (حيث الطمع الدائم واشتهاء الثروات المادية)، الدولة الديموقراطية (حيث تنفلت الغرائز وتسود ديكتاتورية العوام)، وأخيرًا دولة الاستبداد، حيث يكون الطاغية بنفسه عبدًا لغرائزه، وبالتالي غير عادل.

وأخيرًا فإن هذا المفهوم نسبيّ، حيث أن العدالة لن تتحقق بالكامل، كما تصف ذلك أسطورة إرْ، إلا في حياة مستقبلية أخرى: حيث النفوس، وقد حازت على ما تستحقه من ثواب أو عقاب، تعود لتتجسّد من جديد، ناسية ذكرى حياتها الماضية.

**لقد أسّس أفلاطون الفلسفة المثالية، وعرّف الفلسفة بأنها السعى الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة، التي تستخدم العقل وسيلة لها، وتجعل الوصول إلى الحقيقة أسمى غاياتها.**

أوجد أفلاطون ماعُرِفَ من بعدُ بطريقة الحوار، التي كانت عبارة عن دراما فلسفية حقيقية، عبّر من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصية سقراط، الذي تمثّله إلى حدٍّ بات من الصعب جدًّا التمييز بين عقيدة التلميذ وعقيدة أستاذه، الذي لم يترك لنا أيّ شيء مكتوب، بخلاف أفلاطون الذي ينسب إليه نحو أربعين كتابًا، بينها سبع وعشرون محاورة موثوقة، في حين يعدّ الباقي إما مشكوكًا في نسبته إليه وإما منحولًا عليه بالكامل. وتتألّق في الحوارات الأولى، المسمّاة "السقراطيّة"، صورة سقراط التي تتخذ طابعًا مثاليًّا، كما تتّضح من خلالها نظريته في الصُوَر المعقولة أو المُثُل التي هي أساس فلسفته.

تميِّز الميتافيزياء الأفلاطونية بين عالمين: العالم الأول، أو العالم المحسوس، هو عالم التعدّدية، عالم الصيرورة والفساد. ويقع هذا العالم بين الوجود واللاوجود، ويُعتبَر منبعًا للأوهام، لأن حقيقته مستفادة من غيره، من حيث كونه لا يجد مبدأ وجوده إلا في العالم الحقيقي للـمُثُل المعقولة، التي هي نماذج مثالية، تتمثل فيها الأشياء المحسوسة بصورة مشوّهة.

ذلك لأن الأشياء لا توجد إلاّ عبر المحاكاة والمشاركة، ولأن كينونتها هي نتيجة ومحصلِّة لعملية يؤدّيها الفيض، كـصانع إلهي، أعطى شكلاً للمادة، والفيض في حدِّ ذاته أزليّ وغير مخلوق.

ويتألّف عالم المحسوسات من أفكار ميتافيزيائية (كالدائرة والمثلث) ومن أفكار "غير افتراضية" (كالحذر، والعدالة، والجمال، إلخ)، تلك التي تشكِّل فيما بينها نظامًا متناغمًا، لأنه معماريّ البنيان ومتسلسل بسبب، وعن طريق مبدأ المثال السامي الموحّد، الذي هو "منبع الكائن وجوهر المُثُل الأخرى"، أي مثال الخير.

لكن كيف يمكننا الاستغراق في عالم المُثُل والتوصّل إلى المعرفة ؟

**في كتابه فيدروس، يشرح أفلاطون عمليّة سقوط النفس البشرية، التي هَوَتْ إلى عالم المحسوسات – بعد أن عاشت في العالم العلويّ - من خلال اتّحادها مع الجسم. لكن هذه النفس، وعن طريق تلمُّسها لذلك المحسوس، تصبح قادرة على دخول أعماق ذاتها لتكتشف، كالذاكرة المنسيّة، الماهيّة الجليّة التي سبق أن تأمّلتها في حياتها الماضية: وهذه هي نظرية التذكُّر، التي يعبِّر عنها بشكل رئيسيّ في كتابه مينون، من خلال استجواب العبد الشاب، وملاحظات سقراط، الذي "توصّل" لأن يجد في نفس ذلك العبد مبدأً هندسيًّا لم يتعلّمه هذا الأخير في حياته.**

إن فنّ الحوار والجدل لنقل الديالكتيكا، هو ما يسمح للنفس بأن تترقّع عن عالم الأشياء المتعدّدة والمتحوّلة إلى العالم العيانيّ للأفكار. لأنه عن طريق هذه الديالكتيكا المتصاعدة نحو الأصول، يتعرّف الفكر إلى العلم، انطلاقًا من الرأي الذي هو المعرفة العاميّة المتشكّلة من الخيالات والاعتقادات وخلط الصحيح بالخطأ.

**هنا تصبح الرياضيات، ذلك العلم الفيثاغوري المتعلّق بالأعداد والأشكال، مجرّد دراسة تمهيدية. لأنه عندما نتعلّم هذه الرياضيات "من أجل المعرفة، وليس من أجل العمليّات التجارية"، يصبح بوسعنا عن طريقها "تفتيح النفس للتأمّل وللحقيقة". لأن الدرجة العليا من المعرفة، التي تأتي نتيجة التصعيد الديالكتيكي، هي تلك المعرفة الكشفيّة التي نتعرّف عن طريقها إلى الأشياء الجليّة.**

لذلك فإنه يجب على الإنسان - الذي ينتمي إلى عالمين – أن يتحرّر من الجسم (المادة) ليعيش وفق متطلّبات الروح ذات الطبيعة الخالدة، كما توحي بذلك **نظرية التذكُّر**، وتحاول البرهنة عليه حجج فيدون.

**إن الفضيلة التي تقود إلى السعادة الحقيقية، تتحقق بشكل أساسيّ عن هذا التناغم النفسيّ الناجم عن خضوع الحساسيّة للقلب الخاضع لحكمة العقل. وبالتالي، فإن هدف الدولة يصبح، على الصعيد العام، حكم المدينة المبنيّة بحيث يتّجه جميع مواطنيها نحو الفضيلة.**

هذا وقد ألهمت فلسفة أفلاطون العديد من النظريات الاجتماعية والفلسفية، بدءًا من يوطوبيات توماس مور وكامبانيلا، وصولًا إلى تلك النظريات الاشتراكية الحديثة الخاضعة لأثيره، إلى هذا الحدِّ أو ذاك.

وبشكل عام فإن فكر أفلاطون قد أثّر في العمق على مجمل الفكر الغربي، سواء في مجال علم اللاهوت (المسلم أو اليهودي أو المسيحي) أو في مجال الفلسفة العلمانية التي يشكِّل هذا الفكر نموذجها الأول.

- **وإلى جانب النزعة المنطقية الرياضية متأثرًا بفيثاغورس الذي تميّز بها أفلاطون الفكريّ، نجد فيه اتجاهًا إلى التصوّف وإلى ممارسة الحياة الروحية متأثرًا بسقراط، في أعلى مراتبها.**

- فمن الناحية الأولى نجد أن افلاطون قد استخدم المنطق بكل دقة في ميدان المعرفة، وذلك في أسلوبه الجدلي المنهجي، الذي استخدمه للبرهنة على وجود عالم المثل، وكذلك استعار الاستدلال الرياضيّ من الفيثاغوريين وطبّق منهجهم الفرضيّ، وتمسّك بضرورة دراسة الفيلسوف للرياضيات، ولهذا فقد كتب على باب الأكاديمية: لا يدخل هذا إلّا من كان رياضيًّا، وهذا أكبر دليل على أهمّية الرياضيّات في مذهبه.

ومن الناحية الثانية نجد أنه قد أضاف إلى هذا المذهب المنطقيّ الرياضيّ اتّجاهًا صوفيًّا عميقًا تلقّاه من تعاليم الأورفيّه والفيثاغوريّة، والتي تستمدّ جذورها من نبيّ الله إدريس ﷺ في الماضي السحيق، فيما قبل طوفان نوح.

ويبدو أن تعاليم الأورفيه والفيثاغورية لم تكن المصدر الوحيد لهذه النزعة عند أفلاطون، بل ترجع إلى طفولة أفلاطون، التي امتازت بالتديّن والإيمان بالأسرار العميقة التي ترمز إلى الوحي السماويّ، ولهذا فإنه اتّجه إلى البحث عن المثل العليا، أي عن عالم اسمى فيما وراء عالم الحسّ، عالم تطمح إليه النفس في ذروة صفائها وطهارتها، فكان أن كشفت له التجربة الروحيّة عن آفاق عالم المثل العليا.

• وقد أحسّ أفلاطون بصعوبة التفسير اللفظى عن هذا الوجود السامي المتعالي، الذي يجاوز نطاق التجربة الحسّيّة، ولهذا فقد لجأ إلى الأسطورة، وإلى الصور الخياليّة، لكي يفسّر بها حقيقة هذا العالم العقليّ وأبعاده المثاليّة.

• وكان أفلاطون يشعر في أعماق نفسه بأن العبارات الشاعريّة، التي كان يسوقها لإيضاح حقيقة عالم المثل العليا، لن تحقّق هذا الغرض على الوجه الأكمل. فقد كان يشعر بصعوبة التعبير عن مضمون مذهبه، لخصوبة الفكرة التي انتهت إليها تجربته الروحيّة، ولأن اللغة التي قد وضعت للإشارة إلى الموجودات الحسّيّة لايمكن أن تصبح أداة للتعبير عن عالم مثالي مغاير لعالمنا الحسّيّ في وجوده وطبيعته.

• وثمّة أمر هامّ كان له تأثيره الواضح على التجربة الأفلاطونيّة، فعلى الرغم ممّا كان يبدو من شدّة تعطّش أفلاطون للمعرفة والمثل العليا، ممّا دفع به في طريق التأمّل والعزلة والتقشّف وسيطرة العقل على البدن، إلّا أنه قد نشأ في بيئة أرستقراطيّة، غرست في نفسه ميلًا إلى ممارسة السياسة والمساهمة في شئون الحكم، لهذا فقد ظهر لديه اتّجاه

واضح إلى إيجاد نوع من التوازن والانسجام بين النفس والجسد، ممّا ييسّر له سبل الاتّصال بالحياة العامة، ويحول بينه وبين الإستغراق في حياة التأمّل الخالص.

• ومع هذا فإن الفكر الأفلاطوني لم يستطع التخلّص من هذا الاتّجاه المزدوج، أو بعبارة أخرى، من الاتجاه إلى التأمّل الفلسفيّ والعمل السياسيّ معاً، فإذا كانت غاية التأمّل الفلسفيّ عنده هي خلاص النفس وتطهيرها عن طريق ممارسة الحكمة، فإن غاية العمل السياسي في نظره إنما تكون في خلق الظروف الصالحة لتربية المواطن اليوناني، وذلك عن طريق إصلاحه النظم المدنيّة اليونانيّة، حتى تكفل لها سلامة في الداخل والخارج.

وبالإضافة إلى هذا الإنتاج المدوّن الضخم، نجد أرسطو يشير في الميتافزيقا إلى مذهب الأفلاطونيّين في الأعداد والمثل، وهذا موقف لا نجده في محاورات أفلاطون نفسه، ولهذا فقد رجّح المؤرّخون أن ما نسبه أرسطو لأفلاطون من آراء تؤلّف في مجموعها الجزء الشفويّ بالإضافة الى الكلمة المكتوبة والعبارة المركّزة.

ومما يؤيّد هذا الرأي أن أرسطو نفسه كان تلميذًا لأفلاطون، وكان يواظب على حضور مناقشاته الأكاديمية، فهو إذًا على علم بالتعاليم الشفويّة للمدرسة.

وكل هذه الآراء كان لها تأثير كبير على تطوّر الفكر الأفلاطوني وظهوره على صورة مذهب الأفلاطونيّة المحدثة في مدرسه الإسكندرية وعند الإسلاميين والمسيحيين فيما بعد.

إن أفلاطون في محاورات عديدة في موضوع المعرفة، يبيّن أنواع المعرفة المختلفة، ويرتّبها درجات حسب قيمتها في الكشف عن الحقيقة، ويهتمّ اهتمامًا بالغًا بتعريف

العلم الفلسفيّ اليقيني، وبالتمييز بينه وبين أنواع المعرفة الأخرى الشائعة عند معاصريه.

**ونقطة البداية في نظرية المعرفة الأفلاطونية تتلخّص في إثارة الشكّ في العالم الحسّيّ، وذلك حتى يعلم السائر في طريق الفلسفة أن العالم الذي يعيش فيه هو عالم الزيف والخداع.**

**ويقيم أفلاطون تصنيفًا لأنواع المعرفة في العلوم المختلفة، على أساس تفرقته الميتافزيقية بين العالم المرئيّ والعالم المعقول، فيسمّى المعرفة التي تتناول العالم الحسّيّ بالظنّ، والمعرفة التي تتناول اللامرئيّ والمعقول بالعلم أو بالتعقّل.** ولكي يوضح هذين النوعين من المعرفة يقسّمها الى أربعة أقسام:

- لقسم الأول يرمز للأشباح والظلال المنعكسة عن العالم المحسوس، والمعرفة التي تتناولها يسمّيها **وهما**.
- القسم الثاني، والقسم الذي يليه في المرتبة، يشير لموجودات العالم الحسّيّ المرئيّ ويسمّي معرفتها **ظنّا**.
- القسم الثالث يشير إلى التصوّرات الرياضيّة، ويسمّي معرفتها **فكرًا استدلاليًّا**.
- القسم الرابع يشير إلى المعقولات، التي هي أقرب إلى المبادئ، والتي هي موجودة بغير حاجة للمحسوس، فهي عالم المثل، ويسمّي معرفتها **تعقّلًا**.

وعلى الرغم من هذا التقسيم الرباعي، إلا أن أهمّ مستويات المعرفة التي يعنى أفلاطون بدراستها ونقدها، هي الخبرة الحسّية والاستدلال العقلي، ثم المعرفة الحدسيّة التي هي رؤية مباشرة لعالم المثل.

مات أفلاطون ميتة هادئة عام ٣٤٧ ق.م في نفس يوم ميلاده - في نفس اليوم الذي ظهر فيه أبولو في الأرض (بحسب معتقدات الإغريق) - وهكذا ربط الأسطوريّون بين أفلاطون وإله الشمس، وسادت أفكار بأنه ابن أبولو.

وقد أقيم له ضريح بعد موته، وأصبح تلاميذه يحتفلون سنويًّا بعيد ميلاده ووفاته، حيث كانوا يعتبرون ذلك اليوم مقدّسًا، لأن الآلهة أنجبت فيه هديّة للبشرية - بحسب رأيهم.

في كتابه فيدروس، يشرح أفلاطون عمليّة سقوط النفس البشرية، التي هَوَتْ إلى عالم المحسوسات – بعد أن عاشت في العالم العلويّ - من خلال اتّحادها مع الجسم. لكن هذه النفس، وعن طريق تلمُّسها لذلك المحسوس، تصبح قادرة على دخول أعماق ذاتها لتكتشف، كالذاكرة المنسيّة، الماهيّة الجليّة التي سبق أن تأمّلتها في حياتها الماضية: وهذه هي نظرية التذكُّر، التي يعبِّر عنها بشكل رئيسيّ في كتابه مينون، من خلال استجواب العبد الشاب، وملاحظات سقراط، الذي "توصّل" لأن يجد في نفس ذلك العبد مبدأً هندسيًّا لم يتعلّمه هذا الأخير في حياته.

هنا تصبح الرياضيات، ذلك العلم الفيثاغوري المتعلّق بالأعداد والأشكال، مجرّد دراسة تمهيدية. لأنه عندما نتعلّم هذه الرياضيات "من أجل المعرفة، وليس من أجل العمليّات التجارية"، يصبح بوسعنا عن طريقها "تفتيح النفس للتأمّل وللحقيقة". لأن الدرجة العليا من المعرفة، التي تأتي نتيجة التصعيد الديالكتيكي، هي تلك المعرفة الكشفيّة التي نتعرّف عن طريقها إلى الأشياء الجليّة.

لذلك فإنه يجب على الإنسان - الذي ينتمي إلى عالمين – أن يتحرّر من الجسم (المادة) ليعيش وفق متطلّبات الروح ذات الطبيعة الخالدة، كما توحي بذلك نظرية التذكُّر، وتحاول البرهنة عليه حجج فيدون.